٢٠٢١م

روايــة

# ثالوث الشيطان
## الجزء الأول

# الجثث المفقودة

د. محمد الشربيني داوود

يصدر عن:

دار ميتا بوك
للطباعة والنشر والتوزيع

رواية
**** ***** ****
الجثث المفقودة
**** ***** ****
د. محمد الشربيني داوود
**** ***** ****
الإشراف العام
أيمن عبيد
**** ***** ****
الإشراف الفني
السعيد المصري
**** ***** ****
الطبعة الأولى: ٢٠٢١م
* **** ***** **** *
التجهيزات الفنية والطباعة:

METABOOK
Publisher
002 01013121217
darmetabook@gmail.com

• رقم الإيداع: 2021-4470
• الترقيم الدولي: I.S.B.N : 978-977-6644-71-1

• الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأى المؤلف في المقام الأول.
• حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بأذن كتابي مسبق من المؤلف.

وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِّـنَ الْـإِنسِ يَعُـوذُونَ بِرِجَـالٍ مِّـنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا

سورة الجن آية (٦).

## رسالة من اللص

اقتلعتُ العيون وقطعتُ الألسنة وهشمت العظام، ومزقتُ اللحم والرؤوس، ووضعتُ الأمعاء فى حقيبة كبيرة واحدة، كنت أري الموت فى جباههم جميعاً وكأنهم كتبوا بين أعينهم سوف نُقتل قتلاً مجانياً. أعيش فى كل مكان أما أنت فتعيش على اليابسة، بل فى جزء صغير من اليابسة. ستجدني فى كل المستعمرات ومدنها ومماليكها وفي الماء، فوق سطحها وفي أعماقها وأنتشر فى الصحاري والأماكن الخالية والجبال المرتفعة والكهوف والمغارات، ومع كل هذا التزاحم الهائل، فأنا سوف أعيش فى بيتك.

**لص الجثث**

# تمهـيد

فزعت هند من نومها، تثاءبت طويلاً وهي تزيح الغطاء عن جسدها، ثم جلست فى الفراش معتمدةً بذراعيها على ساقيها متقوسة تحت وطأة غم لاحت آياته فى وجهها النحيف، فقد شعرت بأنها عاجزة عن النوم، حملقت فى وجه زوجها المستلقي بجوارها، فوجدته يغط فى نوم عميق، فتبدلت مشاعرها وتفجرت السعادة فى باطنها وابتهجت اساريرها وانفلج ثغرها عن ابتسامة تبعث فيها شعور بالرضا والسعادة، ألقت نظرة أخري مبتهجة عليه، تملت فى صفحة وجهه الوسيم بملامحه المتناسقة وابتسامته الخفرة، التي لا تكاد تفارق شفتيه حتى وهو مستغرق فى النوم. كل ذلك يبعث فى نفسها شعوراً بالانتشاء، ويلقي فى ذهنها وقلبها إحساساً لا يخبو توهجه، تتردد للحظات فى دواخلها، فتقنعها بأنها استطاعت أن تغنم من الحياة أفضل ما فيها.

نهضت واتجهت إلى خارج الغرفة وارتكزت إلى النافذة المُطلّة على الشارع، كان الظلام دامساً لا تكاد ترى فى أجوائه شيئاً، بزغ نور الفجر ينبلج وأفق الإصباح يلوح كأنه الحبر المنسكب فى وعاء، بدأ لون الإصباح يستبد ووشي الدجى يسدف، فسمعت زقزقة العصافير تملأ الأجواء تغرد على أغصانها سيمفونية ألحان العشق والجمال، فجأة شعرت بقشعريرة تدب فى جسدها، وهزة تسري فى أوصالها، صوت خافت يهمس فى أذنها يجب أن أعود

إلى نومي. وفجأة رأت كأنه شبح قادم من بعيد ويمشي ببط شديد، دققت النظر أكثر فرأت أنه شبح ضخم، وفجأة سمعت أنفاس ولهاث هذا الشبح أنه يقترب من بيتها! بعد لحظة رأته يغادر المكان، هرعت الي غرفتها وكأن وعيها ينسحب ببطء، كان رأسها يعج بالأسئلة. همست فى نفسها: ان هذا هو الموت! هناك سر غامض فى هذا البيت أيضاً، لكن الوقت الآن لا يسمح الا بالنوم على الرغم من أنها كانت على يقين أنه لا يختفي بداخلها، فهو اما أن يكون موجوداً هنا أو غير موجود. عندما عادت الي سريرها فى نفس اللحظة استيقظ زوجها من نومه فجأة وتسبب لها فى صدمة بنفس القدر الذي حدث لها عند النافذة لقد ابيض لونها واندفعت الي الخلف وتطلع الي وجهها وتساءل:

- لماذا ارتعبت وأبيض لونك؟

كانت هند أنفاسها متقطعة فتساءل هو:

- ما الأمر؟

لم تقل شيئاً حتى نهض هو من مكانه وأصبح جوارها فسألته:

- كيف يبدو منظري؟

- يبدو مرعباً. فلونك أبيض. ما الأمر؟ هل حدث شيء ما؟

همست فى نفسها بخوف: هل أخبره بشيء؟ أظنه لن يصدقني، ولكن لماذا ظهر لي هذا الشبح الغريب؟ ولماذا اختارني أنا؟ ولماذا يظهر لي؟ لم أعد أستطيع الاحتفاظ بسري هذا. هل أقول له؟ أم لا؟

# الفصل الأول
# بـدايــة العــذاب

مر شهران وفي ليلة من الليالي، فجأة اختفي كل هذا الحب، بل اختفي كل شيء، همست فى نفسها متسائلةً: هل الحب موجود أصلاً؟ هل كان هذا الحب وهم؟ هل كنت أحبه بقلبي دون عقلي؟ كيف أشعر الآن بالوحدة وانا بجواره؟ هل كان هذا حباً من طرف واحد، لذلك أشعر بالتعاسة والشقاء معه؟ هل هذا البيت مسكون بالأرواح والأشباح، فكانت هي السبب فيما يحدث بيننا؟ لم تعد تسمع خرير الماء فى الجدول، ولا أصوات الطيور عند الصباح ولم تعد تهب نسائم منعشة من أعماق الظلمة الوارقة الظلام كما كان، بل وجدت نفسها وكأنها فى قاعة مظلمة لا متناهية العمق، بل وكأنها فى أعماق الظلام.

ازدادت الفجوة بينهما، فتبدلت مشاعرها وتفجر الحزن فى باطنها وتحوّلتْ مشاعرها تجاههُ من الحبِّ إلى الكراهية، فقد أحست وكأنها خارج الزمان والمكان وتقول فى نفسها: ربما أحلم، استغربت هي من الأحداث وما جري لها، أتري ما مر بها كان وهماً، حلم يقظة، أم أنها كانت فى مكان ما وقابلت زوجها هذا؟ كيف جري ذلك؟ اشتدت حيرتها، بينما هو مضي يُظهر الحياء ويداري انفعالاته ويتأسف بعد ارتكابه الخطأ، هي لا تريد أن تتزوج من شخص يدعي الالتزام، أو أن يكون من العارفين الذين يستشهدون عند كل موقف بما يناسبه من الآيات، انها تريد الالتزام فى سلوكه الظاهري، وترغب فى امتلاك من يتزوجها وتخاف تمرده، فقد علمتها الحياة أن القليل والكثير من الدين مفيد، أما الذين يتشكلوا فى صورته فقط، يتسببون فى زرع الفتن وينذر بالخطورة والغم.

الآن تنمو بداخلها رغبة بالتردد والخوف منه، لا سيما بعد أن وسع قلبه لها قليلاً، ولكنها علمت فيما علمت بما ضاع من ماضيها، أي شخص يجهل مستقبله، أما هي فجهلت ماضيها ومستقبلها، فالماضي ليس بالقصير ولديها شك بأشياء وأشياء.

******

في ليلة شديدة الظلام وكعادتها فزّت من نومها مرعوبة، تحسست رأسها برعب. فقد شعرت بصدمة مباغتة ومؤلمة ومخيفة وكأنها ارتطمت بسيارة مسرعة لم تعرف من أين جاءت؟ أو الى أين اختفت؟ كل ما عرفته فى تلك اللحظة هو أنه هاجمها فجأة ذلك الصداع الرهيب والذي عجزت كل الأدوية عن علاجه أو التخفيف من قسوته أو رفع أظافره عن رأسها.

شعرت للحظات بأنها غير قادرة على التفكير. أحسّت أن رأسها يخلو من كل شيء، بل إنها عاجزة على ان تفهم ما هذا الصداع المؤلم الذي تشعر به دائماً، والذي بدأ معها حين طلبت الطلاق ذات مرة من زوجها. لأنها وبعد زواجها منه تفاجأت بأنّه رجل صامتٌ حدّ الغضب والجنون، فقرّرت بسبب صدِّه المتكرر لها أن تنفصل عنه بعد أنّ تحوّلتْ مشاعرها تجاههُ من الرّغبة والحب إلى الكراهية والحقد، وتتذكر ما حدث لها فى ليلة من الليالي بينما كان هو جالساً فى غرفة الاستقبال، وطلب كوباً من العصير، حملت اليه الصينية وبها كوبين من العصير واقتربت منه، ثم طلبت منه الطلاق مرة أخري ففتح عينيه وصار يحدِّق بها فارتعدتِ منه وأصيبت بهذا الألم الشديد برأسها وبسبب هذه

الحادثة تحرّكت مشاعر الغضب بداخله وأصبح أكثر غضباً وجنوناً معها.

******

صوت الساعة على الحائط تشير إلى الثانية صباحاً، زوجها لا زال خارج البيت كعادته، عادت الي فراشها وظلت هي مستلقية عليه بعض الوقت ومدثرة بغطاء ثقيل فى غرفة نومها، ثم قامت ونظرت إلى بعض الكتب التي فى مكتبتها والتي تضم كتباً كثيرة، سحبت كتاباً فى الشعر لأمير الشعراء أحمد شوقي وعادت الي فراشها لتقرأ، مر وقت على هند وهي تقلب صفحات الكتاب، وأخير ألقته قرب رأسها بعد أن قرأت بعض صفحاته. بقيت لفترة تتأمل سقف الغرفة. لم يكن هناك سوى صوت الساعة وهي تتكتك، وشيئاً فشيئاً غرقت فى غفوة دون إرادة منها.

حيث تجد نفسها بمفردها فى قصر مهجور، وتقف فى مدخلٍ مضاءٍ بشكل خافت، وفجأة تستمع إلى صوت طيف بعيد، ويصاحبه بعض الضوضاء الشديدة، وصدى صوت يتردد فى جميع أرجاء المبنى، ثم تبدأ الأصوات فى الاقتراب شيئًا فشيئًا، وتشعر بأن هناك شيء يزحف نحوها فى ذلك الممر الطويل الكئيب، فيسيطر الخوف علي كامل أوصالها، وتركض هاربةً إلى أسفل المدخل باحثةً عن مكان تختبئ فيه، وتظل تركض وتركض حتى تصل إلى باب فى نهاية الرواق، ولا تجد مكانًا أخر تذهب إليه، فتفتح الباب وتدخل إلى حمام لم يكتمل بناؤه، وبعدها

تقوم بغلق الباب خلفها مباشرة، ولكنها تسمع صوت ضربات عنيفة تقترب ثم تقترب أكثر، ومعها صوت طيف رهيب جدًا، وأخيرًا تصل تلك الضوضاء إلى الحمام حيث تختبئ، وترى أمامها باب الحمام يهتز من شدة الطرق عليه، فتدفن رأسها بين ساقيها على أمل أن ينتهي ما يحدث، ولكن يتعالى صوت الضربات فيصبح أعلى وأقوي، ثم تري عملية قتل جماعية، يبدو فيها أن أسرة بأكملها قد قُتلت بوحشية، بعد أن تعرض الأب والأم وابنتان للضرب حتى الموت فى شقتهم، ولكن كانت الابنة الثالثة مفقودة ولم يتم العثور عليها حية ولا ميته ، و تري باب خشبي محطم وبرك من الدماء فى أرجاء الشقة، وكانت الابنة المفقودة قد عرفتها على الفور، أنها نفس الفتاة ذات اللون الرمادي العجيب التي كانت تراودها فى أحلامها، ابتسمت لها ابتسامة شريرة وهي تقول: أنت لي. سارت الرعشة حينها فى أوصالها وارتجفت، ولم تستطيع التحرك ووقفت تنظر إليها فى رهبة وصمت، وأدركت فى لحظتها أنها عارية تمامًا، فأسرعت الفتاة نحوها وقفزت عليها، ولكنها اختفت فى الهواء، وقتها استيقظت من النوم وهي مرعوبة تتعرق من شدة الخوف، وشعرت أن هناك شيء يتحرك بداخلها.

لم تستطيع هند النوم فى تلك الليلة، فقد كانت خائفة جدًا من الاستغراق فى النوم ومشاهدة نفس الحلم، قاومت كثيرًا حتى لا تنام، ولكنها فى النهاية استسلمت للنوم وحلمت بذلك الكابوس المزعج مرة أخري.

كان الليل يبدو أزرق من وراء النافذة الزجاجية الوحيدة. نظرت هند نحو الباب الذي يفضي مباشرة إلى خارج الشقة حيث درج البناية. لم يقطع سكون تلك اللحظات إلا صوت عقرب الساعة.

نهضت بتكاسل لتشرب الماء. أطفأت وهي فى دربها إلى المطبخ أحد الأنوار. كانت حزينة وتحس بالفراغ. دخلت المطبخ وفتحت الثلاجة. أخرجت قنينة الماء وشربت منها مباشرة. وضعت القنينة فى الثلاجة ثانية ثم توجهت إلى غرفة النوم. بعد دقائق عادت منها وهي تحمل ألبوماً للصور. توجهت إلى غرفة الاستقبال وجلست على الأريكة فى مكانها السابق تمددت وغطت ساقيها وبطنها بغطاء من الصوف، وبدأت تقلب صفحات الألبوم بانتظام.

مر وقت على هند وهي تقلب صفحات الألبوم، وأخيراً ألقته قرب رأسها بعد أن شاهدت جميع الصور. بقيت لفترة تتأمل سقف الغرفة، وشيئاً فشيئاً غرقت مرة أخري فى غفوة دون إرادة منها.

الدكتورة هند المصري، امرأة شابة جميلة، ذات عينان واسعتان سمراوان بياضهما ناصع، شعرها أسمر اللون ناعم طويل، رموشها طويلة، وجهها نحيف، وذات حبة خال علي خدها وقد اضافت لها مزيداً من الجمال.

******

كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف فى منتصف الليل، حينما تعالت أصوات لوقع خطوات قادمة من الجهة التي أمام باب الشقة. فزّت من نومها على صوت محاولة فتح الباب المقفل من الداخل. ألقت نظرة سريعة على الساعة، ثم نهضت باحتراس

متجهة نحو الباب لكن دونما فزع، فقد خمنت أنه زوجها المهندس عوني، وبالرغم من ذلك وقفت بجانب الباب ويدها على المفتاح ثم سألت:

- من هناك؟

فجاء صوت خافت من وراء الباب.

- افتحي أنا عوني.

فتحت الباب فدخل عوني، هو فى منتصف الثلاثينات من العمر، له لحية خفيفة، شعره ناعم، وسيماً ذو عينان خضراوان، طويل القامة، جسده نحيل، وشخصيته قوية. نظرت هي اليه، ثم قالت له بغضب مكتوم ممزوج بنبرة مشبعة بالنعاس:

- أين كنت إلى هذا الوقت المتأخر من الليل؟

- أين يمكن أن أكون؟ عند أحد أصدقائي.

ثم أندفع إلى الأريكة ملقياً نفسه بتعب عليها سائلاً:

- هل لدينا ما يؤكل. أنا جائع؟

يوجد لدينا خبز وجبن وبيض و.....

لم يجبها بشيء وإنما نهض متوجها إلى جهة المطبخ، فعلقت مستاءة.

- يعني أما كان بالإمكان أن تأتي قبل هذا الوقت. تتركني وحدي وتذهب للسهر خارج البيت.

لم يعلق على كلامها، فواصلت.....

- الصبح الساعة الثامنة يجب أن تكون فى مكتبك.

نظر إليها للحظات وقال:

- وما هي المشكلة؟

نظرت إليه بغضب مكتوم، أما هو فتجاهل نظراتها منشغلاً عنها، فلم يكن أمامها سوى أن تتجه إلى غرفة النوم لتلقي بنفسها على السرير.

لا تدري هند كم مضى من الوقت وهي مستلقية على السرير، لكنها أفاقت، نظرت إلى الساعة على الحائط التي كانت تشير إلى السادسة صباحا. إذن الوقت ما زال مبكراً. أنصتت جيداً فسمعت صوت شخير زوجها يأتي من غرفة الاستقبال. لا تدري لم أحست بالراحة، فدخلت الفراش وسحبت الغطاء على نفسها لتواصل النوم.

استيقظت مرة أخري فى هذه الليلة، فكانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف صباحاً، فهي لم تنم فيها سوي ثلاث ساعات، نهضت وفتحت النافذة فلم تري سوي عمارات عالية، تري سماء ملفعه بالسحب السمراء، وفي الأفق الشرقي نضح الستار بياض ناصع، وعلى الأرض سعي فوج من الناس والسيارات، وفي لمحة واحده تجلت لمخيلتها قريتها والمكان الدافئ المفعم بالراحة، فهمست فى نفسها: ما الذي جاء بيّ إلى هذه البلد المزدحمة، وإلى هذه المدينة بالذات. لم أكن أحلم بالسفر إلى هذه البلاد. أبعد رغبة لي فى السفر كانت حينما أزور بعض اقاربي وأصدقائي فى نفس قريتي الصغيرة داخل محافظتي. لقد أحببتُ خطيبي السابق حينما كنت فى قريتي، كنتُ فى السابعة عشرة من عمري.

استمرت علاقتي به لسنة تقريباً ثم انفصلنا. أتذكر كيف كان يأتي إلينا فى بيتنا الكبير حينما كنت أعيش فى بيت جدي.

أتذكر وجدان أختي التي تكبرني بأربعة أعوام، التي أجبرها أخي عزام على الزواج من ابن عمها، إذ كانت هذه المسكينة لا تحب الزواج منه. حين اعترفتُ أنا لأختي بحبي لخطيبي مصطفي، صارت تساعدني فى ترتيب زواجنا. كنا نخرج لشراء أغراض الزواج.

أتذكر الكارثة حينما رفضت أختي الزواج من ابن عمها، حينها تعرضت للضرب المبرح من أخي عزام، ووجدت نفسها أن الحل الأمثل هو أن تقبل منه الزواج. أتذكر ليلة زفافها بتقزز، لا أدري كيف مرت شهور الزواج تلك، إذ وجدت نفسها مطلّقة بعد عام، لأنها لم تنجب. أهله كانوا يريدون أن يروا ذريته فى أقرب وقت فظنوا أنها لن تنجب. خُيرت حينها بين أمرين: أما أن تقبل بأن يتزوج بامرأة أخرى أو تقبل بالطلاق، فاختارت الطلاق بالرغم من أن أخي الكبير عارض ذلك، وحاول إقناعها بقبول أن تكون لها ضرّة، فالإسلام يسمح بذلك، إلا أن وجدان سعت بكل السبل لإقناع زوجها بقبول رأيها بالطلاق. وجدت نفسها فى حيرة أمام أمي التي ساعدتها فى مسألة الطلاق، ودافعت عنها فى مختلف الأحوال والظروف، والتي طالما حدثتنا عن ظلم الأهل والناس والمجتمع. هي نفسها تحولت إلى ضدها، واضطهدت أختي حينما رجعت إلى بيتنا بعد طلاقها! لا أتذكر أسوأ من تلك الأيام خلال تلك الفترة التي امتدت لسنتين وخاصة حينما انفصلتُ أنا ايضاً

عن خطيبي مصطفي. فى تلك الفترة أيضاً، كان أخي عزام فيها فى قاع بئر اليأس حينما انفصلت عنه خطيبته بعد عامين. أتذكر أنه كان مستعد للموت. لمغادرة الدنيا. أو بأي شكل للخلاص من الوضع الذي هو فيه. وهذا ما دفعه إلى القبول بالزواج من جارتنا ابتسام، التي كانت فى العشرين من عمرها ويكبرها اخي بعشرة أعوام، وقد قرر ابي الانتقال بنا الي العيش بالقاهرة بعد انتقال تجارته هناك فقد اشتري لنا بيتاً كبيراً مكون من ثلاث طوابق ذا واجهة عريضة مشرقة، ونوافذ عريضة مفتوحة، وستائر ناصعة البياض، البيت به الكثير من الغرف، إلى جانب حمامات كثيرة وتحتضنه الأشجار، وله حديقة كبيرة وفناء واسع، يعيش أخي بالطابق الثالث ونعيش نحن بالطابق الثاني بينما كان الطابق الأرضي ظل لا يسكن به أحد. وكانت أمي مريضة وابي صار رجل عجوز ويحتاجان الي الرعاية.

وفي القاهرة قبلت أختي بالزواج من شخص تقدم لخطبتها بعد ثلاث سنوات من طلاقها هرباً من البيت ومن اساءت أخي لها، بل ومن مصير المرأة المطلقة التي يحاسبها المجتمع على أنفاسها. لذا أحست بالسلام حينما انتقلتُ لبيت حسين زوجها، الذي كان يُعد نعمة لها هبطت عليها من السماء.

أتذكرُ كيف أني بمرور الوقت صرت مسئولة عن أبي وأمي المريضين، فأمي كانت مريضة جداً، ولم يكن لها رأي فى شئون المنزل. كل شيء بيدي، لكن أخي وزوجته لم يهتما لمرضهما كثيراً، والتزمت انا بنظام تعاطي الأدوية لهما. كنت أقضي معظم وقتي لخدمتهم بجانب دراستي.

أتذكر حينما احترتُ فى موضوع تعسر زواجي مرات عديدة. تعسرت خطبتي وزواجي على الرغم من أنني أملك من الجمال ما لا تملكه غيري، حينها وجدت ان من الدراية والحكمة أن أستشير أحد الشيوخ فى موضوع تأخر خطبتي. فقد تم خطبتي من قبل أكثر من مرة ثم اطلب الانفصال عنه دون سبب، وأحياناً أقول لأنه يختلف عني وبعدها تعسَّر أمر خطبتي أكثر فأكثر، فكلما تقدم شخص لخطبتي أجد نفسي أرفض بدون سبب معقول.

أتذكر تلك الفترة التي تقدم لخطبتي شاب وسيم. وحينما قابلته فى بيتنا لم نتحدث كثيراً. ولكنه كان بارداً جداً ولم يشأ أن يتواصل معي اجتماعياُ حتى أفهمه، بل كنت أشعر أن هناك شيء غامض لا يريد الإفصاح عنه كان يتهرب من أي سؤال فى حياتنا المستقبلية بالرغم من أني كنت مستعدة أن أكون زوجته، لكني لم أشعر بأية رغبة فى ذلك أو قد كرهتُ الارتباط بأحد.

وأتذكر حينما تقدم لي شخص آخر يعيش خارج مدينتي وحدث الاتفاق بيننا وبين أهله، وما إن جاء اليوم الذي سوف نحدد فيه ليلة الزواج وبدون سبب مقنع أخلفوا الموعد. فقمت بالذهاب أول الأمر إلى شيخ راقٍ وهو من أقاربي وقد شفيت أمي على يديه من مس أصابها قبل مدة قريبة من تعسر خطبتي.

أتذكر الجاثوم الذي كان يتكرر معي باستمرار، وأتذكر حينما وجدتُ لعبة صغيرة على وسادتي، رأسها كأنها رأس الشيطان، وقمت بالأنين وأنا أحاول أن أقول أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم، يا ربي، إلى أن استجمعتُ قوتي ثم استيقظتُ مذعورة.

أتذكر انني كنت لا أتبادل الحديث مع اخي عزام وزوجته إلا نادراً، إلى أن انهارت صحة أمي، وتم نقلها إلى المستشفى لترقد فيها استعداداً لإجراء عملية جراحية فكنت أذهب لزيارتها والبقاء عندها معظم الوقت كل يوم تقريباً. وبعد إجراء العملية بأقل من أسبوع توفيت أمي نتيجة لضعف عمل القلب، فتم دفنها فى قريتنا بمحافظة البحيرة، وصرتُ وحيدة مع أبي المريض ايضاً.

أتذكر بعد أشهر من وفاة أمي، وفي ليلة شتوية باردة، حدث شيء لم أصدقة حتى الآن. حينها كان أخي غائباً فيه عن البيت كعادته فهو يعمل لساعات طويلة خارج البيت، وكنتُ قد أعددتُ لأبي وجبة العشاء، وذهبتُ لأغلق النافذة التي تنظر على درج البيت فسمعت خطوات شخصاً، ظننت أخي يصعد علي درج البيت وفجأة قُرع الباب. قلت هل أخي جاء ليطمئن على أبيه؟ ولكن ذهب أبي ليفتح الباب وكأنه وجد شخصاً غريباً، دفعه بعنف أرضاً وقد مات أبي فى التو واللحظة فصحت: أبي. أبي.

كأن القاتل هرب مسرعاً وقد أبلغ أحد الجيران الشرطة بأن شخصاً غريباً قد اقتحم البيت. وبعد فترة قليلة جاءت الشرطة لإجراء المعاينة والتحريات، تبين أنه ليس هناك آثار بعثرة بمحتويات الشقة، ما أكد لرجال المباحث أن الدافع وراء ارتكاب الجريمة هو القتل. قُتل ابي ولم نعرف هل جاء هذا الشخص طمعاً فى الاستيلاء على المال؟ ولو جاء لهذا الغرض من

قال له انه حينها كان يمتلك مبلغاً كبيراً من المال ولماذا دفع أبي وهرب مسرعاً؟

هذه هي المرة الثانية التي أعرف فيها الموت! وبدأت أعيش لوحدي فى شقتي وبعد مرور أسبوعين وفي ليلة يوم ما ذهبت الي فراشي فى وقت النوم ليلاً، شعرت ودون أيما صوت شعرت بأن أحد جلس على حافة سريري، بالقرب مني. كنتُ مستلقية وفي وضع النهوض، وفجأة صوت يسألني إن كنت تعبة، تجمد جسدي فى مكانه بغته واتسعت عيناي عن آخرها وأُحدقت بجانبي يميناً ويساراً فقلت له من هنا وأفكر فى سؤاله هل انت تعبة؟ حاولت ان أقول شيئاً ولكني عجزت عن النطق وبدأتُ ألوح بيدي حيث تنظر عيني ثم قلت يا إلهي، فجأة وجدت نفسي جالسةً على الأرض فقد انتابني خوف وفزع. فما رأيته لم يكن جسداً بل كان شبحاً، كان شبحاً يملك صوت قوي وتأثير مخيف.

أتذكر أنه ومنذ وفاة أبي وأنا اشعر بأن هناك شيئاً ما يطاردني بالبيت. لذا تسرب الخوف إلى نفسي من هذا. وفي تلك الليلة. وفي تلك الغرفة. شعرت بأن هذا الطيف وضع يده على رأسي وأخذها ليمسح عليهما برفق. شعرتُ بالصدمة من تصرفه. لم أعرف ماذا أفعل. أُصبت بما يشبه الشلل. لكني قلتُ بصوت خافت: أرجوك. أرجوك. سمعت صرخة قوية بصوته، صوت صارم فيه أمر بعدم الاعتراض. وبدون أية كلمة أخذ يمسح على رأسي! أردتُ أن أبعده عني، إلا أنه كان قوياً، فلم أستطع النهوض ولا أن أبعد يده التي

أشعر بها عني، ولم أعرف ماذا يمكن أن يحدث! بل ولم أفكر إلا فى شيء واحد هو: كيف لي ان اهرب من الغرفة ولو أن أحداً معي الآن لساعدني؟ وجدت نفسي مشلولة الإرادة والجسد. أردتُ أن أقاوم، لكن المقاومة كانت فى أعماقي ولم تظهر قط! لم أُبد أية حركة جسدية، بل كنتُ لا أتحرك من أجل أن ينتهي هذا المشهد الغريب! لكني لم أنتبه إليه إلا حينما بدأ يرفع يده من فوق رأسي. ثم انتبهت إلى نفسي مستلقياً على الأرض. كنتُ شبه مغشيّ عليّ. وفجأة، وعلى غير توقع مني، انصرف كالرياح تدور خارجاً وبسرعة.

هكذا بدأت علاقتي بالأشباح الغريبة. وامتلأ بيتنا بالأسرار. حيث تكرر الأمر مرات. لكن لا أدري لماذا لم يمسسني هذا الطيف كما فهمت. وكأنه لو حدث ذلك لما عارضت. بل مرت بيّ أيام ولحظات كنت أتمنى ذلك وبشدة. لكن كل ذلك انتهى بما يشبه الكارثة فى أول زواجي من المهندس عوني، الذي كان صديقاً لأخي المهندس عزام وكان فيه سمات الزوج الجيد. وقال انه يسكن بالقاهرة ويعمل بها وأهله فى قرية بعيدة عن القاهر وأنه يتيم الأبوين وليس لديه اخوه لذلك جاء يوم خطبتي بخالته وزوجها اللذان لم أراهما بعد ذلك، ولم نزور أحد من أهله لأنه كان مشغولاً دائماً بالعمل. وكان يقول لي إنه مسروراً جداً لأنه وجد ما وجده لدي. وكانت المشكلة الوحيدة التي واجهتني هي أنه يريدني أن أترك عملي فى المستشفى وأن أستقيل منه، لأنه يغار على كثير. ولا يحب الاختلاط فى العمل، وأنه متمكن

مادياً وليس محتاجاً إلى راتبي، حتى جاء اليوم الذي اتفقنا فيه على ليلة الزواج وتزوجنا.

******

مرت الأيام، وبدأت هند تتردد على الدجالين والمشعوذين مرة اخري، فبدأت تقتحم العالم الخفي الذي بلا قاع وبلا جدران ولا يعرف فيه المرء رأسه من حذائه عندما يئست من الطب ويأس الطب منها. عندما وقف العلم عاجزاً عن انتشالها من طوفان الألم الهادر. ان علاقتها بهذا العالم غريبه. كيف انتقلت هند من مهمتها فى تخفيف آلام المرضي الي أن تصبح هي نفسها حالة مزمنة من حالاتها؟ كيف تحولت من التشخيص والتفسير وتقديم العلاج الى المرضي والبحث عن الدواء والشفاء؟ إن حياة سيدة متصلة بالتمرد. تمرد على سلطة الخوف الذي كان بسبب طيف فى بيتها القديم فى ضاحية من ضواحي القاهرة، فهمت هند أن الصداع الذي يسيطر عليها بجنون وبلا علاج هو طيف يعبث برأسها ويحرمها نعمة النوم والسكينة. لقد بدأت علاقتها بهذا العالم المجهول ولا تعلم أنها ستتحول الى كارثة ومأساة هددت حياتها ومستقبلها. وحاولت إقناع جهازها العصبي اللاإرادي بأن الحياة بلا معاناة، فابتلعت أنواعاً مختلفة من أقراص أمريكية لكنها لم تنجح، فبدأت رحلتها الغريبة تزداد تعمقاً. بدأتها بزيارة المعالجين الروحانيين والأضرحة ثم وجدت نفسها تسقط فى ذلك العالم الذي بلا قاع. فى رحلة مثيرة وطويلة ومتشابكة فى عوالم العالم الخفي.

******

في مارس ٢٠١٣م، وفي يوم الأربعاء، حينما كانت الساعة فى حدود الثامنة صباحا ً حينما دخل المهندس عزام إلى الشركة. فوجد أن سكرتيرته الآنسة ليلي، التي كانت فى بداية الثلاثين من العمر، ترتب بعض الخرائط والملفات الموجودة على طاولة مكتبها، فبادرها مرحاً:

- صباح الخير.

فالتفتت إليه وقالت وهي تبتسم بعذوبة:

- صباح الخير سيادة المدير.

دخل المهندس عزام إلى مكتبه الخاص بينما استمرت السكرتيرة بترتيبها للخرائط والملفات. بعد فترة وجيزة دخل إلى مكتبها. حينما دخل المهندس عزام المكتب كانت ليلي مشغولةً بوضع أدوات هندسية وبعض الملفات على الطاولة. تقدم منها وهو يسعى إلى لفت انتباهها. تنحنح قليلاً وهو يبتسم فانتبهت له فقال لها:

- أريد أن اسألك عما ...

ولم يكمل المهندس عزام جملته حينما رن جرس التليفون فى مكتب السكرتيرة، فاتجهت مسرعة كي ترد على المكالمة. حين رفعت هي سماعة التلفون فى مكتبها كان عزت بيه، رئيس مجلس ادارة الشركة العقارية العربية على الخط، فضغطت على جهاز للنداء القريب يصلها بمكتب مديرها وقالت له:

- عزت بيه، رئيس مجلس ادارة الشركة العقارية السعودية العربية.

- صليني معه بمكتبي.

- حاضر.

ضغطت على زر التوصيل بينهما ثم وضعت السماعة.

في غرفته رفع المهندس عزام سماعة الهاتف. أخذ يكلم عزت بيه.

- عزت بيه. يا أهلا وسهلاً. صباح الخير. نعم أخبرتني السكرتيرة قبل لحظات عن اتصالك.

صمت للحظات.

- ماذا؟ تحتاجني سريعاً ولمدة نصف ساعة؟

صمت للحظات.

- أمر ضروري جدا؟ طيب. سأكون عندك خلال نصف ساعة.

وضع المهندس عزام السماعة. أخذ يفكّر مع نفسه للحظات: ما هو الأمر الضروري الذي يطلبني عزت بيه الآن؟

خلال هذه الأثناء دخلت ليلي المكتب وسألته:

- هل أعد لسيادتك القهوة؟

فقال لها وهو يعد نفسه للخروج قائلاً:

- لا شكراً. سأذهب حالاً إلى مقر شركة عزت بيه. إنه يحتاجني الآن لبعض الوقت فى موضوع مهم لا أعرف ما هو؟!

- تريد أن أساعدك فى شيء.

- لا شكراً.

غادر المهندس عزام المكتب على عجلٍ. شعرت السكرتيرة ليلي بأن هناك امر ما. ليس لأنه خرج فحسب وإنما لأنه خرج دون أن يستمع لما تقول.

******

استيقظت الدكتورة هند من نومها متعبةً ومهدودة الأعصاب، شعرتُ بأن جسدها ثقيلاً على الحركة لكنها قاومت ببطء متجهاً إلى المطبخ لتعد لها الفطور والقهوة. نظرت إلى الساعة الحائطية فوجدتها تشير إلى العاشرة والنصف صباحاً، وحينما دخلت غرفة الاستقبال لتناول الفطور أغشي عليها. وفجأةً أفاقت فوجدت نفسها فى المستشفى، فى غرفة شبه فارغة إلا من السرير التي ترقد عليه، وقربها طاولة وضع عليها بعض الأدوية. انتبهت إلى أنها على سرير المرضي، وكانت يدها مربوطة بإبرة مرتبطة بقنينة المغذي، وشعرت أنها لم تستطع أن تحرك جسدها ولا أن تجلس بشكل طبيعي.

دخل زوجها المهندس عوني مع أحد الأطباء وخلفهما وقف بعض العاملين عند الباب. بادر الطبيب إلى قياس ضغطها ونبض قلبها، ثم خاطب عوني قائلاً:

- يمكنها أن تخرج الآن. كان لديها انخفاض حاد فى ضغط الدم والسكر. يبدو أنها لم تأكل منذ فترة طويلة. الآن كل شيء طبيعي. يمكنها أن تذهب معك. سأذهب لأعّد لكم أوراق الخروج.

قال الطبيب ذلك وغادر الغرفة.

بقيَ عوني ينظر إليها نظرات متفحصة ثم همس فى نفسه:

- بالأمس كنتي تشعرين بالإعياء والتعب واليوم حينما رجعت من عملي وجدتك مغشي عليك ولم تفيقي وكنتُ فى ذهول. وخفت عليك ودون أن أعرف شيئا ذهبت بك الي المستشفى لتنعمي بالراحة والعناية! ألا يكفي هذا يا أميرتي يا صاحبت القلب الحنون، لقد احببتك بحروف من نار، وجعلتك أميرة قلبي، أنت لي وطناً. أليس هذا ضماناً مني كي تشعرين بحبي لك؟

******

في شارع الألفي وسط القاهرة، ثمة مبنى من ثلاثة طوابق يحمل لافتة كبيرة تغطي واجهة الطابق الثاني تحمل اسم الشركة العقارية السعودية العربية. دخل المهندس عزام المبنى واقترب من المصعد، يقرأ اسم الشركة والمكاتب الأخرى على الألواح المجاورة، فهو يعرف أن الشركة تحجز الطابق الأول برمته، بينما كان الطابق الأرضي يحمل أسماء طبيبين أحدهما لأمراض القلب وآخر لأمراض وجراحة العيون، ولم يكن هناك ما يشير لأي جهة تحتل الطوابق الأخرى، وحينما خرج المهندس عزام من المصعد وجد نفسه فى صالة استقبال الشركة مباشرة، وبالمقابل كانت طاولة كبيرة تجلس خلفها فتاة جميلة الملامح أنيقة الملبس، وكان من الواضح أنها تقوم بمهمة مديرة المكتب أو السكرتيرة، على جانب من القاعة طاولة أخرى، لم يكن هناك من يجلس خلفها، وعلى الجانب الآخر ثمة حواجز تشير إلى أن خلفها تبدأ مكاتب الإدارة والمدير المسؤول. وعلى جدران القاعة

تتوزع لوحات فنية للتراث السعودي وكأنها لوحات معاصرة بعضها أصلية وثمينة وبعضها إعادة رسم وتقليد لكنه متقن أيضاً. كانت هذه اللوحات تجسد ذائقة واهتمام صاحب الشركة عزت بيه، فموضوعات اللوحات كانت عربية، ومنظر طبيعي. انتبهت السكرتيرة إليه بعد أن وضعت سماعة الهاتف، لكنها لاحظته يتأمل اللوحات باستمتاع واهتمام، ولما أحسّت أنه استعرضها جميعها وبشكل سريع سألته:

- أهلا وسهلاً مهندس عزام.

- أهلاً مدام مريم.

- عفوا، لم انتبه إليك كان معي اتصال على الهاتف، هل من خدمة أستطيع تقديمها، حتى ينتهي عزت بيه من الاجتماع؟

ابتسم المهندس عزام لها وقال:

- لا. أنا جئت لمقابلته اليوم لأنه اتصل بي منذ نصف ساعة واعتقد أنه فى انتظاري. اتصل بي واتفقت معه خلال نصف ساعة أكون عنده هنا.

- إذن. لحظة من فضلك، سأبلغه.

وقامت هي بدورها إلى غرفة مكتب عزت بيه التي تقع خلف الحاجز.

كان المهندس عزام جالساً على الكرسي والتفت يتأمل إحدى اللوحات التي عرف أنها تقليد لإحدى اللوحات العربية ثم همس فى نفسه: ما هو سبب دعوته لي الآن؟ لقد انتهينا من آخر

مشروع! ربما حصل أحد على شيء يثبت ما تم الاستيلاء عليه من الشركة عندي؟ أو معرفة ما قام به عوني من تلاعب فى البوليصة الخاصة بعملاء الشركة وتحويلها باسم شركة عزت بيه التي هي أيضاً وكيلة للشركة الأمريكية.؟ او أن أحد شعر أن لي علاقة بما عرضت الشركة لخسائر مادية من قبل والتي قد بلغت آلاف الدولارات؟

ولم تمض إلا لحظات حتى سمع وقع أقدام، فالتفت ليجد عزت بيه يسبق السكرتيرة بالترحيب الحار.

-أهلا وسهلا مهندس عزام، أنا فى انتظارك، متى وصلت؟

تصافحا بحرارة وأخذه عزت بيه من يده واتجها إلى المكتب وهما يتحدثان:

- أنا هنا منذ أكثر من أسبوع، لقد سافرت لإنهاء بعض أعمالي فى باريس ورجعت بعد أسبوعين فقط.

حين صارا فى المكتب انبهر المهندس عزام بالأبهة والفخامة التي تطغي على كل شيء فى المكتب لقد تم تغير كل شيء بالشركة.

- لقد تم تغير المكتبً عزت بيه! رائع!

- ها. ما رأيك الآن.

- فخامة.

- أشكرك.

- كيف حال مدام ياسمين؟

- إنها بصحة جيدة. تتذكرك على الدوام. اسمع، أنا لدي حديث مطول مع بعض الوكلاء المهمين من شركات خليجية، جاءوا قبل دقائق. ولم انتهي بعد من اجتماعي معهم، لكني قطعت الاجتماع حينما قالت السكرتيرة إنك قد وصلت. أفضلُ شيء أن تأتي إلى هذا المساء. أنا أدعوك إلى العشاء. سيكون هناك ضيف آخر. ما رأيك؟

لم يترك عزت بيه أي خيار أمام المهندس عزام. لكن سعادة المهندس عزام أكبر من أن توصف لأنه لم يذكر له أي شيء عن الوسواس الذي أقلقه. لكنه قال بارتباك:

- رائع. سأكون عندك هذا المساء، لكن كم الساعة؟

- فى الثامنة.

انتبه عزام إلى أن عزت بيه كان برغم فرحته باللقاء قلقاً. وشعر المهندس عزام بالحرج. لذلك لم يشأ أن يطيل البقاء لديه. فأعتذر له عن مجيئه وقد انشغل على الرغم من اتصاله به بموعد مسبق. لذلك طلب السماح له بالمغادرة على أن يلتقيا ويتحدثا فى المساء. ولم يعترض عزت بيه أو يلح عليه بالبقاء، وإنما ابتسم له بصداقة فهو يعرفه منذ زمن بعيد. تصافحا ثانية وغادر المهندس عزام المكتب.

حينما وصل المهندس عزام إلى مقربة من السكرتيرة انفتح باب المصعد وخرجت منه امرأة لكنها ليست من طراز سيدات الأعمال.

انتبه عزام إلى أن السكرتيرة قد ارتبكت لدخول السيدة بحضوره، كما انتبه إلى أن السكرتيرة قامت للسيدة باحترام

ممزوج بالهيبة، وقالت لها بارتباك وكأنها تريد أن تموه على شيء:

- أهلا وسهلا مدام، عزت بيه بانتظارك.

لم تنظر السيدة إلى المهندس عزام وإنما شقت طريقها إلى المكتب. أدرك هو أن عزت بيه لم يكن واضحاً معه، فهو لم يذكر بأنه ينتظر أحدا، وإنما قال له إن لديه اجتماعاً. لم يهتم عزام للأمر كثيراً ولكنه تعجب.

******

## الفصل الثاني
# قاتـــل مجهــول

قبل أن يصل المهندس عزام إلى مكتبه، انتبه إلى حركة غير طبيعية فى الشارع، سيارات الشرطة تتوزع بكثافة وفي كل زاوية، فى الساحات والمنعطفات وتحت الجسور وعند مداخلها من الجانبين، ما الذي يجري؟

صحيح أنه كان يهتم بالوضع السياسي منذ أن أراد التوجه للدراسة فى القاهرة، لكنه يعد نفسه غير سياسي، ومحايداً، ومنعزلاً، وليست لديه أية رغبة فى أن يعارض النظام، بل ولم يعارضه فى حياته، ويؤدي ما يراد منه إذا أقتضى الأمر.

مرت فى ذهنه ذكريات سريعة. فهو الآن يتذكر كيف كان يتحدث عن الوضع السياسي حينها فى مصر، حينما أراد والده إرساله للدراسة بكلية الهندسة فى جامعة القاهرة. يتذكر حينما قابلته أحد دوريات الشرطة وكان علية احضار بطاقته الشخصية وحينما لم يجدها معه اخذه الضابط الي قسم الشرطة وحينما جاء اليه والده واحضر له بطاقته، قالوا له إنهم يعرفون إنه إنسان مسالم وليست لديه أية ميول أو أهواء معادية.

يتذكر حينما سافر إلى القاهرة لدراسة الهندسة كان هناك بين فترة وأخرى مشاركاً عادياً في احتفالاتهم ومناسباتهم دونما أي نشاط سياسي واضح، فهو إنسان بعيد كل البعد عن أي اهتمام سياسي، لكن هذا لا يعني أنه بلا أفكار ورؤى فكرية بل هو يدرك ما يفور فى أعماق مجتمعه. لكنه يخاف من أي وجع جسدي، وأي ألم نفسي وتهديد وجودي لكيانه ووجوده.

يتذكر أنه فى القاهرة تعّمد ألا يواظب على الدراسة من أجل تمديدها لأطول فترة ممكنة وذلك بالاتفاق مع والده، لأن البلاد

كانت فى وضع سيء للغاية وحتى لا ينضم الي الخدمة العسكرية، لكنه أيضا لا يستطيع أن يمددها إلى أجل غير مسمى، وفي الشهور الأخيرة من السنة وبعد انتهاء فترة الاختبارات أستلم عمله وكان معه صديقه المهندس عوني الذي صار زوجاً لأخته هند بعد ذلك، والذي كان قد أنهى دراسته قبله بسنة تقريباً. كانت تلك فترة عصيبة، لكنها أيضا كانت فترة عملية ممتازة بسبب الظرف الاستثنائي والنزول إلى ساحة العمل التطبيقي الميداني مباشرة.

يتذكر حينما اندلعت الثورة الشعبية فى يناير ضد النظام فى جميع محافظات البلاد أحس بشيء من الراحة وكأنه ينتظر الخلاص، لكنه كان خائفا أيضاً من إبداء أي شعور بالتعاطف أو الرفض. لذا لم يخرج من بيته لأكثر من أسبوعين.

يتذكر حينما كانت سكرتيرته تأتيه بكل ما يحتاجه، بالرغم من أنها أيضا لم تنتظم فى عملها، فكانت تتغيب عن العمل بشكل مستمر، وحينما تأتيه بالطعام وببعض الأشياء، كانت تأتيه بالأخبار عما يحدث فى الميدان وعن شهداء الثورة الذين ماتوا فى مواجهتهم ضد النظام. وعن انتظار الناس لساعة الخلاص.

يتذكر الآن كيف أن أحد المقربين من السلطة والذي كان يأتيه بالمقاولات والصفقات التي يجريها مع أزلام النظام، واسمه المهندس علي، جاءه فى أحد تلك الأيام، وكان مرعوباً، ولم يكن أحد فى المكتب غيره، فأخذ يشكو إليه من الوضع

والنظام والجيش، ومن الشخصيات الحزبية الجديدة التي ظهرت بعد الثورة والتي يرتبط معها والتي تأخذ منه نسبة مئوية تصل إلى النصف فقط لموافقتها على منحه المقاولات التي تتفق شركته معهم ولإنجازها، وكيف أنه كان ينتظر ساعة الخلاص، كي يستطيعوا التنفس والعمل بحرية.

يتذكر صديقة مختار الذي وجدوه ميتاً فى مكان عمله وسط أوراقه أثر سكتة قلبية، عرف أنها كانت نتيجة رعبه من الاستدعاء. يتذكر مجتمعه وقيمته التي هبطت الي القاع وانهارت منظومته الأخلاقية حيث اهتزت فيه كرامات البشر نساء ورجالاً، وشاعت الروح الانتهازية والوصولية الشيطانية. أحس المهندس عزام وكأنه ربان عجوز فى سفينة مثقوبة مليئة بالفئران وتواجهه العاصفة. رغم مرور حوالي عامين على تلك الثورة الشعبية التي ملأت روحه الشديد فى إمكانية أي تغيير يمكن أن يحدث فى البلاد. انه كان يعرف أن معلومات وتحريات الأجهزة الأمنية عنه مطمئنة، لذا لم يجد مشكلة فى حركته اليومية ولا حينما يود السفر فالسلطة عنه راضية فى كل الأحوال، وهذه حالة صديقه المهندس عوني أيضا، ولذا ربطت بينهما علاقة الصداقة منذ أن كانا فى السنة الأولى بكلية الهندسة جامعة القاهرة.

لقد ارتبك الآن من رؤية كل هذه السيارات التابعة لأجهزة الدولة. تركت فى نفسه قلقاً لم يتعود عليه سابقاً، وحينما دخل إلى مكتبه لم يجد سكرتيرته ليلي فى مكانها، وسمع حركة فى غرفة مكتبه فتوجه بحركة خفيفة غير مسموعة وأطل

برأسه فرأى السكرتيرة منحنية تفتش فى أحد الدواليب التي يضم فيها ملفاته المهمة، ومشاريعه. لم تنتبه إليه فقد أعطت الباب ظهرها لأنها لم تتوقع أن يعود. فوجئ هو لحظتها وسأل نفسه عن أي شيء تفتش؟ ولماذا؟ وكيف تتجرأ أن تفعل ذلك؟ ولحساب من تقوم بذلك؟ رجع إلى الوراء حتى وصل الباب الخارجي ثم فتحه وصفق الباب بقوة غلقا، وكأنه دخل فى تلك اللحظة. فخرجت السكرتيرة من غرفته مرتبكة جداً، وهي ترتب ثيابها وكأنها كانت فى غرفة الحمام التي تقع فى الزاوية المواجهة لمكتبه والصالة.

حين دخل المهندس عزام مكتبه تخلى عن قلقه، وبرغم ما واجهه من أسئلة مع نفسه حينما رأى سكرتيرته ليلي تفتش فى مكتبه، فلم يطرأ فى ذهنه أي هاجس سياسي، وإنما ظل الأمر غامضاً بالنسبة له، لذا لم يشغل نفسه به الآن.

فجأة، ضغط الزر طالباً السكرتيرة ليلي التي جاءته مرتبكة أيضاً ظناً منها أنه انتبه لبعض التفاصيل فى مكتبه، لكنه قال لها:

- أريد منك، وحسب أن تعدي لي قهوة.

- حاضر.

أحست ليلي بالاسترخاء النفسي عندما لم يتحدث عن رؤيته لها وهي تفتش مكتبه لأنها كانت متأكدة بأنه انتبه إليها. لم تقل هي شيئاً، وإنما هرعت مسرعة لتنجز هذا الأمر سعيدة فهذا يعني أنه تجاوز الأمر ولم يحمّله أيَّ محمل سيء.

كانت شخصية السكرتيرة غامضةً، فمن خلال تكوينها وملامحها المعبرة أحس أنها ذات شخصية قوية، لكنها فى الواقع هشة وضعيفة وبلا رأي أو شخصية، بشكل محيّر بالنسبة له. كانت أشبه باللغز. كانت متزوجة من موظف يعمل فنياً لأجهزة الحاسوب فى إحدى شركات الحاسوب.

حين رآها صديقه المهندس عوني، عندما زاره أول مرة ولم يكن قد مرَّ على التحاقها سوى أيام، علق قائلاً بأنها جميلة وذكية. حينها أخبره المهندس عزام بأنه لا يتعامل معها إلا باعتبارها موظفة لا أكثر.

كانت السكرتيرة ليلي محافظة جداً فى علاقاتها، وحذرة، ومترددة فى أن تنفتح ولو قليلاً مع الغرباء، فكانت بالنسبة له أطول امرأة استغرق معها من الوقت كي يفهمها.

******

كانت ليلي بطبيعتها خجولة ورسمية فى العلاقة معه، لذا اتبع معها خطة استمدها من خبرته مع النساء، فلم يبد لها بأنها تعجبه، وبعد أسبوعين لاحظ أنها تحاول أن تكتشف عالمه، هل لديه امرأة أخرى ما هي اهتماماته النسائية؟

فضولها كاد يقتلها، إلا أنها لم تبد أية إشارة توحي بأنها تريد أن تعرف عنه كل شيء، حتى وأن اعترفت مع نفسها بأنه أنيق ووسيم ومتعطر دائما بعطور طيبة، وأنه طيب فى التعامل معها ويحترمها ولا يسيء الأدب معها أبدا، حتى أنه كي لا يضطر لتوجيه الأوامر إليها لتقديم بعض الخدمات، لاسيما عندما يأتيه

الضيوف، فقد عين رجلاً ريفياً، ليقوم بخدمة المكتب وإعداد القهوة، إلا أنها طلبت منه أن يخدم الضيوف ويهتم بنظافة المكتب فقط، أما المهندس عزام فخدمته من اختصاصها. استمر الحال بينهما هكذا إلى أن جاء ذلك اليوم العاصف الذي كان مفتاحا لتقاربهما.

في ذلك اليوم دخل المهندس عزام إلى المكتب وألقى التحية على السكرتيرة ليلي. أجابته بنبرة هادئة مليئة بالحزن، ودون أن يناديها قامت بتحضير القهوة وحملتها إليه ثم خرجت بهدوء. بعد قليل دعاها إلى مكتبه فجاءت دونما رغبة واضحة، إذ كانت ساهمة الوجه والنظرات. دخلت إليه وظلت واقفة أمامه منتظرة تعليماته. نظر إليها بانتباه نظرات متسائلة وقال:

- استريحي.

- لا شكرا لدي عمل كثير، تفضل، ماذا تأمر.

- قلت استريحي.

ترددت قليلا ثم جلست، نظر إليها بتعاطف وسأل:

- ما بك؟ أراك حزينة لأول مرة منذ أن بدأت العمل فى المكتب، هل هناك مشكلة؟

- لا.

- كيف لا. ووجهك الجميل لا يقول إلا أنك حزينة وحزينة جدا.

فكرت مع نفسها، هذه أول مرة تسمع منه كلمة يعبر فيها عن رأيه بجمالها، لقد أعترفَ الآن بأنها جميلة، فاسترخت نفسياً قليلاً وقالت:

- لا شيء، مشاكل عائلية اعتيادية.

فقال لها بمودة:

- أنا مستعد لأي مساعدة مالية لا تتردي إذا ما كنت فى ضائقة مادية.

انتبهت لنبرة المودة والحنان فى صوته ولاستعداده لمساعدتها فأحست بمشاعر الحنان نحوها. فقالت بتأثر:

- شكرا جزيلا مهندس عزام، لن أنسى موقفك هذا أبداً، لكن صدقني المشكلة ليست مادية.

- ماذا إذن؟ إذا لم يكن سراً.

- موقفك هذا فاجئني، أحس أنك صرت قريباً مني، ويمكنني أن أحدثك.

صمت المهندس عزام للحظة ثم قال:

- تفضلي. لا تترددي.

صمتت لحظة ثم نظرت إليه وكأنها تريد أن ترى ردة فعله، وقالت بهدوء حزين:

- زوجي طلقني.

أبدى المهندس عزام تعبير الاستنكار والذهول أمامها. قام من مكانه غاضبا واستدار ليجلس على الكرسي المقابل لها:

- طلقك. هل هو مجنون؟ رجل لديه امرأة مثلك، بل أفضل امرأة رأيتها ويطلقها. انه الخاسر حقاً، لكن لماذا؟

- تأكدتُ من إحدى صديقاتي المقربات والتي تعمل معه، أنه تزوج من موظفة مطلقة تعمل معه، والكل هناك يعرفون ذلك،

وحينما واجهته أنكر ذلك طبعا، لكني متأكدة فتشاجرنا وطلبت ان يطلقني.

- ربما أنت مخطئة؟ ربما الرجل بريء حقاً؟

أغاظها ما قاله فى الدفاع عنه، لأنها تريد أن تدين زوجها لتبرر ما يدور فى أعماق لا وعيها من انها تريد أن تتزوجه على الرغم من علمها بأنه متزوج، ولتجد التبرير للاقتراب منه، فقالت بعصبية:

- أنا متأكدة بأنه تزوج. أنا متأكدة.

وترقرقت الدموع من عينيها. صمت المهندس عزام للحظات ثم قال:

- لا أدري ما أقول، أنا متعاطف معك جداً. لكن دعيني أسألك وأجب بصراحة.

نظرت إليه وقالت:

- اسأل.

نظر إليها ووجدها شبه منهارة.

- ربما أنت لا تقومين بواجبك كما يجب، أقصد ربما بسبب عملك فأنت لا تطبخين أو يأتي والأشياء غير جاهزة، وهذا كثيراً ما يزعج الزوج لذلك تزوج عليك.

أخذت تبرر مثل طفلة صغيرة. وكأنها مرتاحة لهذا القرب بينهما، فقالت:

- أبداً. أبداً. فأنا حينما أرجع إلى البيت أُجهز كل شيء، ثم أطبخ لنا وأنظف البيت وأغسل الملابس، وأنا دائما أصل قبله، لذا فحينما يأتي يكون كل شيء جاهزاً.

- غريب.

فقالت بعناد وغضب:

- هذا هو الذي يقتلني فى كل هذه القصة، فلو أني كنت مقصرة فى خدمته فربما أجد له بعض العذر فى ذلك. لكني مثل الخادمة بالنسبة له.

نظر إليها بتساؤل وقال:

- لدي سؤال محرج بعض الشيء، لكن له علاقة بما نحن فيه.

- تفضل اسأل.

- سؤالي الأخير لكي أستطيع أن أفهم.

صمت لحظات. وكانت هي تخمن ما سيسأله، إذ سألها بصوت مرتجف:

علاقتكما. أقصد علاقتكما العاطفية، أقصد. أقصد علاقة... كيف هي. هل هو يحبك؟

كانت تتوقع هي السؤال.

أجابت بحياء وهي خافضة وجهها وقالت:

-اعتقد أنها طبيعية. لم أقصر معه فى شيء. إنني أمنحه كل شيء.

- لا تبكين؟ هل تفهمين، أنا معك. سأقف إلى جوارك. أنت لست وحيدة فى هذا العالم. وكم تمنيت ان أتزوجك.

- لا. هذا يكفي. ما تقوله الآن خطأ. ماذا أفعل بنفسي. أرجوك سامحني.

- فكري فيما أقوله لك. ثم قرري. سوف أنتظر الرد.

قامت ليلي وخرجت من غرفة المكتب مسرعة ومرتبكة، لكن عليه أن يقنعها بالزواج منه، بعد دقائق دخلت عليه وقالت له:

- هل بإمكاني أخذ إجازة فيما تبقى من أوقات الدوام. أحس بنفسي متعبة.

- طبعا يمكنك ذلك.

خرجت ليلي وكان واضحا أنها ليست غاضبة، لكنها قلقة وكأنها تقيّم الأمور مع نفسها وتحتاج أن تكون وحدها لتقرر.

******

في اليوم التالي تم العثور على جثة ليلي وعائلتها كاملةً وقد مزقت فى حقائب سوداء فى ظروف معقدة. جاء الناس يتزاحمون ويتزايدون كثافتهم كذباب يحتشد فوق لوح زجاجي ملوث بالعسل. وجاء بعض رجال الصحافة يتكلمون ويلتقطون الصور، ثمة شعور يغمر الجميع أن هذا غير حقيقي، ولكن هذا قد أصبح مألوف بيننا فكل ما حولنا غريب، الجثث قد مزقت ورتبت فى حقيبة سوداء وسط المكان الغارق بالدماء المسفوكة، ومن الواضح أنها مزقت بالسكين ولو دققنا لوجدنا أن من فعل هذا ليس شخص عادياً، رائحة الدم المسفوكة فالمكان، اللحم

الممزق فى مجموعة من الحقائب، الرؤوس الخمسة فى حقيبة كبيرة واحدة، والأمعاء فى حقيبة. وقد تتوقع أنك عرفت من القاتل منذ اللحظة الأولي وكأنها لا تحتاج الي بطل يوضحها، كنت أري الموت فى جبهتها وكأنها كتبت بين عينيها سوف أموت غداً، لكنني كنت أدرك أن ليلي سوف تموت قبلنا جميعاً، وسوف تموت بأبشع الطرق، لقد تلقت أكثر من طعنةً، اقتلعت العيون والعظام تهشمت ووضعت جميعها فى حقيبة أيضاً، فهل عرفت هي ما لا يجب معرفته؟ التمثيل بالجثث يوحي بحقد دفين يوحي بقاتل مجنون يوحي بثأر قديم، فلا أحد يقطع لسان القتلى ويهمش أصابعهم بهذا الأسلوب السادي المروع ما لم يكن شيطاناً رجيماً.

وقد هزت الجريمة الغامضة القاهرة، وقد تم استكمال الإجراءات النظامية للتحقيق فى القضية، وقد تفاجئوا الجيران بوجود الدوريات الأمنية، وقد هزت الجريمة كيانهم، وخيّم عليهم حزن لا يوصف وعلى الرغم من التكهنات حول هوية الجاني، وعندما جاءت إجراءات النيابة لاستكمال التحقيقات فى مسرح الجريمة اذ وجدوا اختفاء الحقائب التي امتلأت بجثث القتلى، ان هذه هي المرة الأولي لجريمة مزدوجة، القتل وسرقة الجثث واختفاؤها!

ولدقيقة كاملة، حدق الكل فى الحجرة الخالية والدم المسفوح المنتشر أرضاً فى ذهول تام وصمت مطبق، ثم ما لبس الشرطي أن قطع هذا الصمت، وهو يهتف:

- يا إلهي، لقد اختفت الجثث تماماً.

غمغم المحقق فى ذهول.

- اين الجثث؟ أين الحقائب التي تم الابلاغ عنها؟

أجاب الشرطي وحاول أن يقول شيئاً ولكنه عجز عن النطق وهو يلوح بسبابته مرة أخري، واتجهوا بأبصارهم الي حيث تنظر عيناه مرة أخري وبسرعة غريزية، لاحق الكل سبابته واتجهوا بأبصارهم الي حيث يشير وكان الشرطي أول من هتف وهو يرتد كالمصعوق:

- يا إلهي. من الذي فعل هذا بهم وسرق الجثث؟

أما الباقون، فقد انطلقت من حلقهم شهقة قوية.

تم استدعاء مسؤول الشرطة، والذي عُنِف لاحقا لعدم كفاءة التحقيق. تنوعت النظريات بين الدهشة والزعر والتوتر بينهم.

- مستحيل لا يمكن أن يحدث هذا. من فعل هذا؟ ولو لم أري الحقائب التي بها الجثث الممزقة وهذه الدماء المسفوحة ما صدقت أن هناك جريمة.

- هذه ليست جريمة اعتيادية.

- يصعب علينا ان نجد من يقطع الألسنة ويمزق اللحم ويهشم العظام بهذا الشكل الوحشي ثم يضعها فى حقائب!

- وهتف آخر وهو يلوح بيده، فى شيء من الذعر:

- لم يحدث هذا فى جريمة من قبل. ان الفاعل أراد أن يخرس القتلى عن شيئاً حتى لا يُتاح لهم الكلام، هذا رجل أراد ان يصدمنا جميعاً عندما نشاهد ما لا نشاهده الآن!

قال: الشرطي فى عصبية:

- هناك سر غامض فى هذه الجريمة.

- سأله المحقق:

- أي سر هذا؟

أجاب الشرطي فى حزم:

- من فعلها جاء لسرقتها حتى لا يترك أي خيط لنا فى هذه الجريمة.

- أتقصد أن من فعلها جاء مرة أخري وأنتم جميعاً بالمكان ثم سرق الجثث!

قال الشرطي متوتراً.

- لو جاء، لبقي له أثر او انتبهنا له، كيف له ان يدخل الي هنا ونحن فريق الأمن أمام الغرفة وبالأسفل باقي الفريق من الضباط والجنود.

تساءل المحقق وهو يحدق فى الغرفة.

- ربما لم ينتبه إليه أحد منكم.

هتف الشرطي:

- مستحيل

اقترب المحقق فى حذر، قائلاً:

- وماذا لو أن .....

قبل أن يتم عبارته، تجمد جسده فى مكانه بغته، واتسعت عيناه عن آخرها، وهو يحدق فى الدماء المسفوحة التي بأرضية الغرفة فالتقي حاجباً الشرطي وهو يسأله:

- ماذا هناك؟

حاول الشرطي أن يقول شيئاً، ولكنه عجز النطق مرة ثانية، وهو يلوح بسبابته الي حيث تنظر عيناه ثم قال:

- لا أعرف، ولكن ما افهمه أنه لو أحد منا عرف ما كان هؤلاء القتلى يعرفونه لكنا تشحطنا فى الدم مثلهم ومُزقت أجسادنا وهُشمت عظامنا. الجهل أحياناً قد ينقذ أصحابه، ما لا نعرفه لن يؤذينا. الغموض والظلام يفيد أحياناً. لقد مزقت أجسادهم لأنهم اقتربوا من الحقيقة أكثر من اللازم ثم تختفي أجسادهم حتى لا يكون لهم وجود فى الحياة، بل هناك من ينسون سريعاً.

سأل المحقق فى حدة:

- ماذا أصاب الجثث؟ أين هم؟ أين الحقائب؟

- لقد أصبح أشبه بسر خفي.

التفت اليه المحقق بحركة حادة، قائلاً:

- ماذا تعني؟

- الأمر واضح للغاية يا فندم، ربما ما فعل هذا شبحاً، ولكننا لا ندري بعد ما الذي فعل هذا اولاً ثم سرق الجثث؟ إلا أن الجهات الأمنية سوف تكثف تحقيقاتها ونحاول ان نكشف ملابسات هذه الجريمة.

******

كانت الساعة فى حدود الثامنة والنصف حينما دخلت الشرطة الشركة التي يعمل فيها المهندس عزام كان مشغولاً بوضع أدواته

الهندسية على الطاولة التي يرسم عليها الخرائط. تقدم منه ضابط المباحث الجنائية، تنحنح المهندس عزام قليلاً لما انتبه عليه ثم ابتسم له مستغرباً وقال:

- أهلاً وسهلاً يا فندم. استرح.

- أنا الرائد محمود طه من مباحث الجنايات العامة.

- يا أهلا وسهلاً. صباح الخير يا فندم. خير؟ زيارتك هذه لنا بالشركة عظيمة. بماذا أستطيع أن أساعدكم؟

صمت الرائد محمود للحظات ثم قال:

نحتاجك سريعاً عندنا بإدارة التحقيقات ولمدة نصف ساعة فقط؟

صمت المهندس عزام للحظات. وقال:

- ماذا؟

- أمر ضروري جدا؟

- خير يا فندم.

- خير... أين مدام ليلي.

- السكرتيرة؟

- نعم. أليست تعمل هنا بالشركة؟

- بلا. ولكنها لم تأتي حتى الآن؟

قام المهندس عزام وخرج معه وأخذ يفكّر مع نفسه للحظات: ما هو الأمر الضروري الذي يحتاجونني فيه رجال المباحث الجنائية؟

******

حينما دخل المهندس عزام إلى دائرة المباحث الجنائية الذي مضى صاعداً معهم إلى الطابق الثاني. وفي نهاية الممر دخلوا غرفة شبه مفتوحة. نظر إلى داخلها فوجد مجموعة من الضباط والأمناء والمخبرين جالسين يحتسون القهوة. نظروا إليه. لم يعرفوه أول وهلة. لكنهم أدركوا من دخوله أنه الذي ينتظروه. وما أن دخل حتى قام له رئيس الشرطة الجنائية مرحباً. فقدم المهندس عزام نفسه.

- المهندس عزام، مدير الشركة الهندسية السعودية.

ابتسم له رئيس الشرطة وهو يقول:

- أهلا مهندس عزام. أهلا وسهلا. تفضل استرح. هل تشرب شيئاً؟

- شكراً جزيلاً.

- ضروري أن تشرب شيئاً.

- شكراً جزيلاً. فقط أردت أن أعرف بماذا يمكنني أن أساعدكم، ولماذا أنا هنا؟

صمت رئيس الشرطة للحظات وكأنه كان يفكر بالكيفية التي يجب عليه بدء الحديث بهل. وبهدوء وبلا أي توتر، بل وبتركيز شديد فى نظراته حدق فى وجه المهندس عزام وقال:

- يمكنك أن تساعدنا، بالتأكيد.

أحس المهندس عزام ببرودة تسري فى أعماقه. فليس من السهل ان تحتاج أجهزة الشرطة الجنائية الي مساعدة. فقال بتوتر:

- أساعدكم؟ إذا كان الأمر كذلك فيسرني طبعا أن أساعدكم.

انشغل رئيس الشرطة الجنائية بفتح علبة سجائره للحظات وكأن المهندس عزام غير موجود، ثم فجأة نظر فى عينيه محدقا فيهما بتركيز قائلا:

- مهندس عزام. سأسألك سؤالاً أرجو أن تجيبني عليه بدقة.

- تفضل.

صمت رئيس الشرطة للحظات. أخذ سيجارة من علبة السجائر. ومدّها إلى المهندس عزام دون أن يسأله. فوضع الآخر يده على صدره علامة على الشكر، وقال انه لا يدخن ثم بلع ريقه، فلم تكن الكلمات تخرج من فمه من شدّة التوتر. فقد كان ينتظر السؤال الحاسم.

متى شاهدتَ السيدة ليلي آخر مرة؟

أحس المهندس عزام برعشة تسري فى جسده. وهمس فى نفسه، بالتأكيد هم يعرفون أنها السكرتيرة الخاصة بمكتبي، وليس من الحكمة أن ينكر لكنه أراد كسب بعض الوقت، فسأل مستفهماً:

- أي ليلي؟

ابتسم رئيس الشرطة بخبث، وكأنه يقول له لا تلعب معنا فنحن نعرف كل شيء.

صمت رئيس الشرطة للحظات.

سحب نفساً طويلاً من سيجارته. ونفث دخانها إلى الأعلى ثم قال:

- ليلي التي تعمل معك فى الشركة يا بشمهندس عزام، ليلي عبد الكريم القذافي، ونحن نعرف علاقتك معها منذ أن كنتما تعدان أنفسكما لعش الزوجية!

قال جملته الأخيرة مبتسماً.

ارتبك المهندس عزام. كان يريد أن يرتب أفكاره ويكسب بعض الوقت، فقال محاولاً أن يسيطر على نبرة صوته:

- تقصد السيدة ليلي السكرتيرة التي تعمل معي فى المكتب.

نظر المحقق إليه بابتسامة مشوبة باستخفاف وقال:

- هكذا بدأت تتعاون معنا.

صمت المهندس عزام للحظات وكأنه يحاول أن يتذكر، وقال:

- أمس جاءت بعد انقطاعها عن العمل مدة يومين.

حدق رئيس الشرطة منحنياً على طاولة المكتب وقال له بنبرة حازمة:

- جيد أنك تذكرت يا بشمهندس عزام.

أحس المهندس عزام بالارتباك حينما بدأ رئيس الشرطة مخاطبته بلقب "بشمهندس" وليس "مهندس" حينما بدأ الحوار بينهما، وأراد أن يخفي ارتباكه، فأخذ يسترسل من حيث لا ضرورة للاسترسال وقال:

- إنني لا أذكر تماما إلا أثناء وجودها فى العمل بالشركة. فأنا لا أراها فى أماكن متعددة. ولا فى نادي ولا مطعم ما، ولكن كنت أحيانا أزورهم فى البيت.

- البيت!؟

- يعني أراها بمناسبة وبدون مناسبة، وأحياناً أقابلها صدفة فى بعض المجمعات التجارية، لكن ذلك لا يعني شيئاً.

نظر رئيس الشرطة إليه بإمعان وكأنه يقرأ أفكاره. تضايق المهندس عزام من نظراته، وفكّر للحظات فى نفسه بأن هذه وقاحة منه لذا يبادر ليسأله:

- لكن هل لي أن أعرف لو سمحت يا فندم، لماذا كل هذه الأسئلة؟

نظر رئيس الشرطة إلى المهندس عزام بهدوء. سحب نفساً طويلاً من سيجارته التي كانت على وشك النهاية. وسحق السيجارة فى منفضة السجائر وهو ينفث الدخان من فمه. ثم قام عن كرسيه ودار حول طاولته، واقترب من المهندس عزام دون أن يخفض نظراته عن وجهه، ثم قال ببرود:

- لأنها قد قُتلت هي وعائلتها، بل وتم تمزيقهم ووضعهم فى حقائب ثم سرقة الجثث واختفت؟

- هب المهندس عزام واقفاً دون إرادة منه، مصدوماً من هول الخبر والأحداث التي رواها له، وهو يقول:

- قُتلوا جميعا بهذه الطريقة البشعة؟ كيف؟

نظر إليه رئيس الشرطة وكأنه مسك شيئاً خفياً، وقال له ببرود:

- هل تعطيني سيجارة من فضلك؟

لم يفهم المهندس عزام شيئا من إشارات رئيس الشرطة ولم ينتبه إليها لأنه كان مشغولاً بالخبر فى أعماقه. أراد أن يرتب الأشياء فى داخله، لذلك وجد أن طلب رئيس الشرطة سيجارة فرصة للتفكير للحظات. عاد رئيس الشرطة إلى كرسيه المقابل. بينما كان المهندس عزام يجيبه:

- أنا لا أدخن يا فندم.

سأله رئيس الشرطة:

- هل أنت متأكد بأنك لا تدخن؟

نظر المهندس عزام إليه مستغربا وقال:

- طبعا لا أدخن. هل هذا الأمر يحتاج إلى تأكيد؟

- اعتقدت أنك تدخن.

فجأة سحب رئيس الشرطة سيجارة أخرى من علبة سجائره. أشعلها بقداحته الذهبية. أخذ نفساً طويلا بتلذذ. ثم نفث دخانها بهدوء، وكأنه يريد من المهندس عزام أن يفقد أعصابه، فلعله حينها يفصح عن أشياء تقيده وتؤكد شكوكه. قام رئيس الشرطة وأخذ بالمشي فى الغرفة رواحاً ومجيئاً دون أن يعير للمهندس عزام انتباها.

أحس المهندس عزام بنفسه وكأنه يختنق، وداهمته رغبة حقيقية فى البكاء لموت سكرتيرته ليلي بهذه الطريقة البشعة، لكنه لم يود أن يكشف عن ذلك. عضَ على شفتيه كي يمنع نفسه عن البكاء. فجأة، انتبه رئيس الشرطة لحالة المهندس عزام فسأله مغتنم حالته النفسية المرتبكة وشبه المنهارة.

- أين كنت أمس الساعة الثامنة صباحاً؟

أجاب سؤال رئيس الشرطة بالمكان الذي هو فيه، فقال بانتباه:

- كنت فى طريقي إلى الشركة.

- هل تعتقد بأن هناك من رآك فى الطريق من معارفك. أقصد هل لديك شهود على ذلك؟

انتبه المهندس عزام بأن رئيس الشرطة يجره إلى منعطفات فى الكلام ربما ستضره، فأحس بالغم وبالغضب يتصاعد شيئا فشيئاً فى أعماقه. لكنه ضغط على نفسه كاتماً ما يعتمل فى داخله، وقال:

- شهود على أني كنتُ فى طريقي إلى الشركة؟ من أين آتي بالشهود؟ من الشارع؟ ثم هل أنا متهم يا سيادة المقدم حتى تسألني كل هذه الأسئلة؟

لم يجبه رئيس الشرطة وإنما اقترب منه وجلس على كرسي آخر للمحادثة قبالته وقال له بهدوء:

- يا بشمهندس عزام أنت مهندس ممتاز، ولديك سمعة جيدة فى مجال عملك، ومشهود لك بالذكاء. لكنك لا تريد أن تساعدنا فى التحقيق.

شعر عزام بارتجافه وبرودة تجتاحان جسده. وقال بضيق وبنبرة تشوبها بعض العصبية:

- أي تحقيق؟ هل أنا فى تحقيق؟

صمت رئيس الشرطة لثواني. ثم عقب بنبرة فيها اتهام مشوب بعتاب:

- أنت لا تريد أن تخبرنا كيف قُتلت السيدة ليلي وعائلتها؟

فقال عزام مباشرة.

- أنا الذي أريد أن أسألكم كيف قُتلت؟

ابتسم رئيس الشرطة وهو ينظر إلى وجه عزام ساخراً، وقال:

- أنت تريد أن تسألنا كيف قُتلت؟ هي. هي. هي أنا الذي أسألك الآن كيف قُتلت؟ أنها أول جريمة يتم فيها قتل وتمزيق للجثث ثم يتم اختفاؤها.

لم يتحمل عزام أكثر فقفز من كرسيه غاضباً ومنفجراً وهو يقول لرئيس الشرطة:

-سيادة المقدم إذا كنت تريد القول بأن لي علاقة بمقتل السيدة ليلي وعائلتها، فهذا غير صحيح. يمكنني أن أساعدك فى تحقيقك عن الجريمة، لكن أنا لم اقتل ليلي وعائلتها وليست لي أية علاقة بهذه الجريمة، بل أنا أريد أن أعرف من قام بهذا الفعل الشنيع.

قال عزام ذلك بعصبية وكأنه كان يريد أن يهم بالخروج، فنظر رئيس المباحث إليه بحزم وقال:

-أنت مطلوب هنا أيها المهندس عزام، فأجلس لو سمحت. تأكد ان هذه ليست طريقتي فى التحقيق فى بعض القضايا. فالأمور لم تجري بهذه الطريقة، لأني بالأساس لأول مره أنظر فى قضية جنائية غريبة كهذه، فلا تجعلني أجري معك أي تحقيق من النوع الآخر، لاسيما فى قضايا الجنائية، وهذا كله مجرد حديث معك، فأنا لا اجري الأمور حسب القانون وبهذا التهذيب، وربما لأن هذه القضية مثل الأفلام الأميركية أو الأوربية الغريبة.

ارتسمت علامات الدهشة والغضب على وجه عزام، لكنه لم يستطيع أن يقول أي شيء وكأنه صُعق. وانتبه لما قاله رئيس الشرطة عن أسلوبه المهذب معه حتى الآن. والذي يخص سير التحقيق معه فى قضية قتل بشعة مثل هذه. فمعظم المجتمعات الآن خارج الحياة المدنية أحياناً، بل وخارج القانون فى كل شيء ايضاً.

******

# الفصل الثالث
# الأرواح

في مساء ذات اليوم ذهبا المهندس عوني وزوجته الدكتورة هند لتناول الغداء، تحرك الباب الدوار الذي يتجه بحركته للدخول والخروج من وإلى صالة المجمع التجاري الأنيقة لأحد المجمعات الراقية فى إحدى المدن الجديدة وسط القاهرة المطلة على النيل وفي الداخل مجموعة من السواح القادمين للتسوق ولتناول الغداء. حيث توقف الباب لزحمتهم فيه وتدافعهم. وبعد لحظات واصل دورانه ليجدوا السائحون أنفسهم بالقرب من باب الاستعلامات.

كان الزائرين مختلطين ومن جنسيات مختلفة. يمكن تمييز جنسياتهم من أشكالهم وألوان بشرتهم وشعرهم. أوربيون وشرقيون. وكان كما يبدو أنهم قادمون لتناول الغداء فى أحدي المطاعم الراقية بداخل المجمع. فقد كانت هناك استعدادات لاستقبال جميع الزوار. بل كان كل شيء معدّ ومنظم سلفا، عند أحد المطاعم بالدور الأرضي تجمع بعض الناس كي يستلموا وجباتهم. بينما كان عدد من زبائن المجمع يجلسون على المقاعد والأرائك المنتشرة فى باحة المجمع والتي تطل على حدائق المجمع والنيل، كان موظف المطعم يوزع الوجبات على الناس فالتفت إلى المهندس عوني الذي جاء مع زوجته لتناول الغداء. وتوجها إلى المصعد الذي لم يبعد كثيرا عن المطعم الذي بالطابق الأرضي. كانا وحدهما هناك. انتظرا هناك نزول أي من كابنتي المصعد التي كلاهما كانتا فى الأعلى وفي، طوابق متفاوتة، وعندما وصلت إحدى الكابيتين، وفُتح الباب ذهل حينما وجد أمامه امرأة فى العشرينات من العمر دخلت معهما. لا يمكن القول إنها

جميلة جداً فحسب، لكنها كانت بالنسبة له مذهلة، كأنه لم يهتم الي وجود زوجته معه، كانت المرأة هادئة الملامح، حزينة النظرات، مثيرة ليست مثل عارضات الأزياء والممثلات فى المجلات الفنية، وإنما كانت امرأة غامضة بتناسقها، بل تميل شيئاً إلى الامتلاء، تفيض أنوثة، حنطية البشرة، ذات شفتين بارزتين. ووجه حزين، بل يفيض حزناً هادئاً.

لم يكن فى كابينة المصعد أحد غيرها معهما. انتظر هو أن تغادر الكابينة لكنها لم تتحرك. ظلت واقفة ولم تخرج. تردد المهندس عوني منتظرا لكنها لم تخرج، وإنما بقيت مكانها. ففهم أنها لا تريد الخروج. وإنما تريد أن تصعد ثانية. كانت هي قد ضغطت على زر الطابق الثالث، سلمت عليها هند باللغة الإنكليزية فأجابتها بابتسامة آسرة بدلاً من الكلام. أُغلق المصعد بابه وصعد إلى الأعلى، انتبه عوني إلى أنه لم يضغط على زر الطابق الذي يشير إلى وجهته، فضغط على الرقم اثنين. لكن المصعد كان قد اجتاز الطابق الثاني صاعداً. أحس بالارتباك. وفي الوقت نفسه بفرح غامر فى أنه سيرافقها إلى الأعلى. انتبهت زوجته له وانتبهت هي إلى أنه ضغط على الرقم اثنين. وفهمت أنه تأخر. ابتسمت مع نفسها ابتسامة خفيفة. ظل هو يتأملها بتركيز، بينما كانت زوجته منشغله بالنظر إلى لوحة الأرقام المضيئة التي تشير إلى الطوابق، حين وصل المصعد إلى الطابق الثالث توقف. وفُتحت بابه. ابتسمت المرأة مع نفسها. انتبهت زوجته إلى أنها قد

وصلت. خرجت، كانت زوجته على وجهها غضب غامض لما تراه منه. ظل هو ينظر اليها. إلى أن أغلق المصعد ليهبط. ضغط مرة أخرى على الرقم اثنين. بينما قلبه يخفق بشدة. ثمة حالة انخطاف كامل كانت تهيمن عليه.

في الطابق الثاني وجدوا أنفسهم أمام ممر طويل ومتعدد الاتجاهات، فنظر إلى لوحة تشير إلى سلسلة المطاعم الموجودة فى كل اتجاه، فانطلق فى الاتجاه الذي يقع فيه مطعم الدجاج، كانت الممرات مفروشة بالسجاد الأحمر فى كل الاتجاهات. صالة الطعام الرحبة المترامية الأطراف والتي تتمدد بطول الممر الكبير كانت الصالة مليئة بالزائرين، تتدلى من سقفها ثريات جميلة. وتشع القاعة بالأضواء الباهرة التي تبعث النشوة والبهجة فى النفس. فجأة ظهرت إحدى موظفات الخدمة فى المطعم من منتصف الممر. ومن الممر الثاني المقابل خرج موظف خدمة آخر شاب.

******

دخل رئيس المباحث إلى الزنزانة المنفردة فى مبنى التحقيقات الجنائية التي تم حجز المهندس عزام فيها لحين النظر فى حيثيات الجريمة، كان عزام مستلقيا على اللوح الخشبي الذي فُرشت عليه بطانية قديمة كي يبدو وكأنه سرير، غارقاً فى أفكاره، متسائلاً عن كيفية موت ليلي وعائلتها وبهذه الطريقة البشعة؟ لم يكن قلقاً جداً على مصيره، فهو متأكد من براءته. بل هو حزين

جداً ويحس بالاختناق لموتها فقد أحبها حقاً، وقد شرعا على الزواج منها.

جلس عزام على السرير تأدباً ولياقة حينما رأى رئيس الشرطة داخلاً. ارتسمت على وجهه ملامح الغضب الخفي والإحساس بالغبن. انتبه رئيس الشرطة لذلك. لكنه كان ينتشي بإذلاله. لم يقل رئيس الشرطة شيئاً، وإنما أخذ يمشي فى الزنزانة جيئة وذهاباً. ومع رواحه ومجيئه ازداد توتر عزام. وأحس بأن الأمور اخذت تتعقد. فجأة التفت رئيس الشرطة نحوه وقال:

- اسمع يا عزام، أنت الآن فى وضع صعب جداً. ولا أخفيك. إن جميع الأدلة والشواهد تشير إليك، وتدينك، لذا أرجو منك أن تكون فى غاية الحذر عندما تجيب على الأسئلة. وأنصحك بأن تتعاون معنا لأن كل محاولة منك لتضليل العدالة ستدفع المحكمة بأن تكون شديدة معك. وانصحك. ربما ستحتاج إلى محامي بارع جداً لينقذك من ورطتك هذه، وأن تدل على شركاءك ايضاً الذين ساعدوا فى تلك الجريمة فمن غير المعقول أن تقوم بكل هذا وحدك.

كان عزام ينظر إلى رئيس الشرطة نظرة متأملة ومستخفة، تخفي غضباً مكثفاً، بينما ارتسمت على وجهه ابتسامة يائسة هازئة. امتد الصمت بينهما للحظات. كان رئيس الشرطة ينتظر منه أن يقول شيئاً. أن يعلّق بأية جملة. إلّا أن عزام ظل صامتاً.

انتبه رئيس الشرطة إلى نظرته الساخرة، فلم يتحمل ذلك فترك الزنزانة سريعاً. فوجئ عزام لمغادرته. تمنى أن يبقى أكثر وأن

يتحدث أكثر فربما كان سيتحدث بتفاصيل أخرى عن الجريمة. فهو يريد أن يعرف من. وكيف. وأين. ولماذا. ومتى. حدثت الجريمة؟ هو لا يعرف سوى أنهم قُتلوا. وهو المتهم فى قتلهم! ظل للحظات على جلسته. ثم استلقى مجدداً على اللوح الخشبي المغطى ببطانية قديمة.

******

حينما جلس المهندس عوني فى المطعم مع زوجته ظل مفتشاً عن المرأة التي أذهلته. فجأة. من بعيد لمحه صديقه وزميل الدراسة الذي لم يراه منذ سنوات ومعه زوجته وهي نفس المرأة التي كان يفتش عليها ، فهما من الزبائن الزائرين للمجمع ايضاً. فاتجه نحوه المهندس فهمي ومعه زوجته. تبادلوا التحية. وجلسوا إلى الطاولة الصغيرة المخصصة لأربعة أشخاص.

- اسمحي لي أن أقدم لك، المهندس عوني صديقي.

نظرت إليه نظرة محايدة وقالت:

- أهلا وسهلا.

- زوجتي نفيين، نفيين جابر.

- أهلاً وسهلاً.

- زوجتي الدكتورة هند. المهندس فهمي صديق الدراسة.

أحس المهندس عوني برجفة تسري فى جسده عندما سمع اسمها. وعرف أنها زوجة صديقه هذا ، فقال:

- تشرفنا.

وتصافحا. لم يصدق عوني أنه قربها ويكلمها بل ويصافحها أيضاً. فأراد زوجها أن يخلق جوا أليفا فقال:

- المهندس عوني يعمل بالشركة الهندسية الانكليزية. ويتحدث الإنكليزية بطلاقه.

ارتسمت ملامح الدهشة المحببة على وجه السيدة نفيين زوجة صديقه وكأنها تبحث عن تفسير لذلك، فانتبه عوني لذلك فقال موضحا:

القصة وما فيها يا سيدتي أنني درست ماجستير الهندسة فى أمريكا، وأعمل فى الشركة الانكليزية التي يمتلكها المهندس بيرني. لكني عملت فى شركات عربية سعودية لشهور عديدة فقط.

أشرق وجه السيدة وقالت:

- يعني أنت مهندس. ومترجم طبعاً.

- ارتبك هو وقال:

- كنتُ مترجماً أحياناً.

نظرت إليه وكانت عيناها تتألقان وسألت:

وزوجتك جميلة أيضا؟ أين عملك الآن دكتوره هند؟

- شعرت هند بالفرح يغمرها لاهتمامها الواضح وغير المجامل لها، فقال:

- تركت الطب منذ عام، لكني لم أترك القراءة فى كتب الطب.

- كيف ذلك؟ ماذا تقصدين؟

كان فهمي ينظر بسعادة إلى هذا الحوار بين زوجته وزوجة صديقه المهندس عوني، فكثيراً ما كان لا يجد ما يتحدث فيه معها كي يثير اهتمامها، وها هي تثار وتسري الحيوية فى نفسها، وفكر مع نفسه بأن حضور المهندس عوني وزوجته فى هذه المكان سيكسر روتين الحوار بينهما عند العودة الي البيت. واستمع لزوجة صديقة عوني وهي تشرح لها سبب تركها للطب.

- أقصد إنني على الرغم من أن مهنتي الطب إلا أني قارئة جيده للعلوم عامة ولكتب الطب خاصة. ولست رب منزل فقط.

قالت ذلك هند بانبهار وفرح. فأجاب زوجها عوني منتشي بالسعادة لدهشتها كونها تركت عملها لأجله.

- نعم. لقد تركت هند العمل حتى تتفرغ لزواجنا، وحالياً تخطط الي العودة الي عملها مرة أخري.

أخذوا قائمة الطعام، بدأوا بتفحص قائمة الطعام وينظر الي ما فيها من الأطعمة. لكن حينما جاء موظف الخدمة فى المطعم ليسجل طلبيهما تحدث معه عوني، واستغربت هند من زوجها عوني لمعرفته الجيدة لتفاصيل الأطعمة الموجودة بالمطعم والتي لم تتضح من القائمة.

- هل طلبت شيء؟

- بلي، طلبنا رقم واحد وعشرين، وجبتين.

- هند. هل تحتاجين شيء آخر.

- لا. شكراً.

******

جاء النادل بالطعام إلى المائدة وبدأ بترتيبها. ثم غادرهما متمنيا لهما شهية طيبة. لكن ما أن بدأ عوني بتناول الطعام حتى توقف فجأة وعلى وجهه إمارات الدهشة لما اتضح له أن المرأة التي رآها بالمصعد زوجة صديقة وزميل دراسته فهمي، كانت هي المرأة المجهولة له من قبل، المثيرة والحزينة، التي رآها فى المصعد وكانت هي فى ملابس سهرة فبدت وكأنها إحدى نساء القرن التاسع عشر.

لم يحوّل المهندس عوني عينيه عنها قط، فانتبهت إليه زوجته هند، واتجهت هي أيضا بعينيها تلقائياً نحوها، فارتسمت على وجهها علامات الغضب الشديد من شعور زوجها بالرغبة الفاضحة، وقال عوني لصديقه بصوت خافت.

- إن زوجتك امرأة رائعة حقاً. امرأة حقيقية.

أجاب صديقة فهمي على ملاحظته، فقال:

- شكراً. مدام هند امرأة حقيقيه أيضاً.

إذ ظل عوني يواصل نظرات الدهشة والإعجاب والذهول إلى مدام نفين زوجة صديقه، ولم ينتبه له صديقه فهمي وكم تمني عوني فى تلك اللحظة عدم وجود زوجته ومرافقة زوجها لها ايضاً، واللذين جالسين على المائدة قبالته وبدأ كل منهما يتفحص قائمة الطعام حتى لا ينتبها اليهما. فجأة وكأنما هناك إشارة خفية وصلته منها اليه فالتقت نظراتهما، فارتبكا كلاهما. لقد

تذكرت من أول مره أنه الشخص الذي قابلها فى المصعد ، وأحس بشهية كبيرة فأخذ يضع الخضار والسلطة فى صحنه. لكن فجأة، حدثت ضجة فى أقصى المطعم إذ سقطت الصينية من يد العامل الذي يحمل الطعام على بعض الجالسين، بعد أن تعثر. صمت الجالسون لثواني. التفت الجميع نحو جهة الصوت. وبعد لحظات عادت الغوغاء إلى القاعة.

******

دخل شرطي يحمل صينية الطعام إلى الزنزانة التي يستلقي فيها المهندس عزام. لم يكن هو نائماً. وإنما كان لا يزال مستمراً فى تداعياته وذكرياته وأسئلته العصية. وضع الشرطي الصينية أمامه دون أن يفتح فمه حتى بالتحية. وتوجه لمغادرة الزنزانة، لكن قبل أن يغلق الباب سأله عزام:

- قل لي رجاءً. هل من جديد؟ هل اكتشفوا شيئا يدلهم على القاتل؟

التفت الشرطي إليه بلا مبالاة. لم يشأ أن يجيب فى البداية لكنه نظر إلى المهندس عزام، ورأى اللهفة البريئة فى عينيه، فقال:

- أنا لا أعرف اي شيء. لكنني سمعتهم يتحدثون عن اكتشافهم لبعض الآثار التي ربما ستؤكد لهم هوية القاتل.

فتنهد عزام وهو يحس بشعور أنه سيخرج قريباً من هذه الزنزانة بريئاً من التهمة التي وجهت إليه. وسيتابع بنفسه تفاصيل الجريمة. فقال بفرح واستبشار:

- الحمد للّه.

نظر الشرطي إليه متعجباً وكأنه ينظر إلى إنسان غامض وغير طبيعي. فانتبه عزام إليه وسأله:

- لماذا تنظر إليّ هكذا؟ أهناك شيء؟

فارتبك الشرطي وكأنه قال شيئاً ما كان له أن يقوله وتمتم على عجل:

- لا شيء. لا شيء.

فوجئ عزام من ارتباك الشرطي. لم يفهم شيئاً محدداً من إجابته، وبينما كان الشرطي يغلق باب الزنزانة من الخارج بالمفتاح. كان عزام يتأمل صينية الطعام، إذ شعر برغبة مفاجئة فى الطعام. فأخذ البرتقالة من الصينية لكنه ما أن رأى بقية الطعام حتى غابت رغبته فلم يمس شيئاً من الطعام.

ومن خلال تحقيقات النيابة اتضح انه لم يكن حاضراً فى مشهد الجريمة، ولم يشارك فى عملية ارتكابها، وتم إخلاء سبيله بضمان محل إقامته وعمله. وقيدت ضد مجهول، ومرت الأسابيع على ارتكابها، ولم يستدل على الجاني، ولكن ظلت تفاصيلها لغزًا حير رجال الشرطة، ودفعتهم فى أغلب الحالات إلى حفظ القضية تحت مسمى ضد مجهول.

لم يكن عزام يائساً لأنه كان واثقاً من براءته، وأنه كان متأكداً من أن الجهات المختصة بالتحقيق ستكتشف القاتل وتعلن براءته قريباً جداً، كان واثقاً من ذلك بعمق. لكن ما كان يؤلمه هو موت ليلي.

******

ظل المهندس عوني فى مكانه وهي جالسةً قبالته يتابعها بعينيه ثم يتحدثون جميعاً، وكانت هي بين لحظة وأخرى تنظر إليه من وراء كتف زوجها وكلما استدارت زوجته هند. ذهب فهمي صديقة الي الحمام ولم تمض إلا لحظات وعاد إلى المائدة رأى عوني يتحدث مع زوجته سألها زوجها عندما مال نحوها وقال لها شيئاً لم يسمعه أحد، لكن عوني انتبه من هزة رأسها بالنفي.

كان عوني ينظر إليها بحب وشغف واضح، وكانت هي منتبهة له، لكنها لم تشجعه بشكل صريح، وفي الوقت نفسه لم تبد أية إشارة أو ملمح لرفضها ما فى نظراته وعدم قبولها لتصرفه بالتركيز عليها. انتبهت له زوجته هند عندما مضت للحظات وعادت، ثم قالت لهما نفين زوجة صديقة فهمي محرضةً إياهما بزيارتهما.

- سوف ننتظركم لزيارتنا غداً فى دعوة منا على العشاء.

أُعجب عوني بما قالته لكنه فى الوقت نفسه كان متردداً، وقال لهما:

- اشكركم، ولكن أعتقد أن زوجتي هند لا ترغب، فالنساء كتلة من العقد.. هي. هي. هي.

- هل تمزح؟

المهندس فهمي كان أكثر تحرراً وأكثر مرحاً فقال له يحثه ويشجعه لدعوته بالحضور غداً.

- أقول لك هي التي تريد أن تدعوكم.

وكان عوني يرى أن الفرصة سانحة، وأنها فعلاً أخذت تلتفت لساحته، لكنه أظهر انه لم يكن مستعداً لتلبية دعوتهما، فقال وكأنه يلعن نفسه وفي نفسه:

- لدي عمل كثير غداً، سامحني على اعتذاري.

وقالت هند لزوجها شيئاً لم يسمعها أحد، وقد انتبهت مدام نفين بأنهما قد يتحدثان عنهما، لاسيما وأنها أدركت من خلال ما تناهى إلى سمعها بأنها سمعتها تقول إنه خنزير، فارتبكت. لكنها لم تسمع كل ما قيل.

ارتسمت خيبة الأمل على وجهه حينما رأي زوجته هند تبادر بالانصراف وللخروج وذلك لما انتبهت له مما فعله زوجها مع زوجت صديقة مدام نفين ثم تقدم عوني منهما قائلاً بأدب:

- معذرة هل تسمحوا لنا بالانصراف.

أحس عوني وكأنه لم يحصد من هذا سوى الخيبة، وأخذ يلوم نفسه. لماذا لم تنتظر هند لدقائق أخر، أحس بالغضب تجاه زوجته فلماذا لم تنتظر لدقائق؟ ما واساه فى تلك اللحظات أنه لاحظ ظلالاً من الخيبة قد ارتسمت على وجهها، وكأنها استاءت من خروجه أيضاً.

أخذ كأساً من الماء ودافعاً للنادل ثمن الطعام، غير أن نفين زوجة صديقة فهمي لم تقبل ذلك فأصر عوني على الدفع مبرراً بأن ذلك عربون الصداقة، وانسحبا معاً خارجين من المطعم والمجمع.

******

## الفصل الرابع
# مسـرح الظـلام

في مساء اليوم التالي، فجأة وجه المهندس عوني نظره إلى باب الشقة حينما سمع طرقاً على الباب، قامت هند تريد التوجه إلى الباب فقال لها:

- لا. انتظري، أنا سأفتح الباب.

وقام متجها نحو الباب، فاتحاً إياه، فقابله وجه جارهم الجديد رشدي الذي كانت عيناه لحظتها منخفضتين وابتسامة رقيقة ترتسم على وجهه، شاب وسيم، لكنه فوجئ حينما رفع رأسه ورأى وجه المتسائل أمامه. انتبه عوني لتحول ملامح الجار الجديد. ارتبك الجار وابتسم ثانية وقال مرتبكاً وهو يشير إلى شقته المجاورة:

- أنا جاركم، اسمي رشدي.

ومد يده مصافحاً فخرج عوني من الشقة وصار أمام الباب. ومد يده مصافحاً وهو يقول:

- أهلا وسهلا أخ رشدي، أنا أسمي عوني، أهلا وسهلا، كيف يمكن أن نخدمك يا أستاذ رشدي؟

- عفوا. قد أرسلت خطاباً الي وزارة الداخلية لإرسال بطاقة علاجية شخصية لي فأنا اعمل ضابط بالشرطة وتأخرت فاتصلت بهم فقالوا إنهم سلموا الطرد للجيران، فأردت أن أسأل إن كنتم قد استلمتم الطرد؟

من مكانه نادى المهندس عوني على زوجته:

- هند. هل استلمت طرداً من وزارة الداخلية يعود لجارنا؟

اقتربت هند من الباب فنظر عوني إلى وجه الجار رشدي وهو ينظر إلى وجه زوجته فلاحظ ثمة قلقا ًواضحاً وإعجاباً خفياً وكأنه يعرفها، وسمع زوجته تقول من خلفه:

- لا. لم أستلم شيئاً، ربما عند جيراننا فى الأسفل فهم أقرب إلى الباب؟

ارتبك الجار، وتراجع معتذراً وهو يقول بارتباك:

- أعتذر، ربما عند جيراننا فى الأسفل، سأسألهم.

قال ذلك ونزل الدرج مسرعاً وكأنه سيذهب إلى الجيران فى الطابق الأرضي، بينما دخل عوني إلى شقته وهو ينظر نظرة مليئة بالألغاز إلى زوجته هند التي كانت قد أعطته ظهرها وهي تدخل إلى غرفة الاستقبال. أغلق الباب خلفه، وكأنه اكتشف شيئاً جديداً أو جانبا لم يكتشفه من شخصية زوجته هند، فثمة هاجس نشأ خلال لحظات يشير إلى ثمة معرفة أو تواصل بين جارهم وبين زوجته.

وثمة أفكار، وأحاسيس وتصرفات وظن أن لو هذا الشخص صارت علاقته قوية به كجار سوف يهدد حياتهم الزوجية وهي قد تكون مدركةً أو غير مدركة أنه يشكل تهديدًا له فى حياته معها، وبالتأكيد فعوني كأي رجل يكره أن يشترك غيره فيما هو حقه. ففيرته ثوران غضب.

******

جرت مظاهرات ٣٠ يونيو ٢٠١٣م فى مصر فى محافظات عدة، نظمتها أحزاب وحركات معارضة للنظام. توقيت المظاهرات

كان محددًا مسبقًا منذ أسابيع. طالب المتظاهرون برحيل الرئيس الذي أمضى عامًا فى الحكم. وتم تسليم السلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا حينها، وفي اليوم الأول من التظاهرات وقع قتلى وجرحى. وأحرقت مؤسسات بالقاهرة. الاشتباكات الكثيرة أوقعت مئات القتلى. فى اليوم التالي قد جرت مظاهرات فى الشهر نفسه للقوى المؤيدة للرئيس، وحملت شعارات لها.

في مساء اليوم التالي، أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانًا يمهل القوى السياسية مهلة مدتها يومين لتحمُل أعباء الظرف التاريخي هذا، وذكر البيان أنه فى حال لم تتحقق مطالب الشعب خلال هذه المدة فإن القوات المسلحة ستعلن عن خارطة مستقبل وإجراءات تشرف على تنفيذها.

******

في القاهرة سيتعرف عوني على القوى السياسية المصرية المعارضة للنظام والثورة. فهنا يتعرف وجها لوجه مع القوى الإرهابية، كما تعرف على كل المعارضين للدولة. تعرف عليهم وعلى أفكارهم وناقشهم بحذر، وهذا ما أثر على وجوده بالقاهرة، بل هذا قد يغير من مسار حياته. وبدأ يفكر فى الانتقال الي الإسكندرية، لكن ليس هذا قبل حواره المهم مع زوجته هند قبل اتخاذ اي قرار.

******

مرت أيام على سؤال الجار رشدي عن طرده، لكن هاجس عوني فى وجود نظره غير مريحه منه، ربما أنه لاحظ شيئاً من خلال نظراته إلى زوجته!

خلال هذا الأسبوع أخذ عوني يكثر من خروجه، ويبقى لفترة طويلة خارج البيت، وحينما يعود متعبا فأنه يأكل ويشاهد التلفاز ويذهب إلى النوم. وصار منعزلاً. صموتاً، شارد الفكر، وصارت علاقته بزوجته باردة بشكل مريب، وبدأ يتعامل معها بجفاف لكن دونما تجاوزات، وإنما علاقة روتينية. هذا الوضع أربك هند كثيراً، ووسعت من الهوة التي بينهما، وكأن اللعنة حلت حينما طرق جارهم رشدي الباب! وسألت نفسها: ما الذي جرى، ان جارنا لم يقل شيئاً غير اعتيادي؟ لقد سأل مجرد سؤال عن طرده؟

أحست أن زوجها غريب الأطوار، فهي لم تفهمه جيداً طوال حياتها معه، ذلك اليوم الذي فيه طرق جارهم الباب عليها كان بداية دخولها الأكبر إلى عالم الروحانيات والأشباح، بل بالغت فى شُعورها بوجودهم لفترات أكثر، وأخذت الكوابيس تراودها أثناء النوم.

بدأت تفكر هند أكثر وبخوف وهلع فى الأرواح الهائمة والأشباح والجن والشياطين، على الرغم أنها أحيانا كانت تشاهد الأفلام التلفزيونية التي تتحدث عن الأرواح والأشخاص المسكونين بها، وكانت أحيانا تشعر بالخوف من الأشباح. لكنها تنسى كل ذلك بعد انتهاء الفيلم. الآن صارت تفكر بالأرواح والأشباح دون أن تشاهد أي فيلم!

سابقاً لم تنتبه هند إلى البناية القديمة التي تقع فيها شقتهما، فهي عمارة قديمة من عمارات القاهرة ذات المساحات الواسعة والأسقف العالية و لها نوع من الديكورات الفنية، تتألف من

خمس طوابق، فى جميع الطوابق تعيش عائلات كبيرة ، أما الطابق الرابع منه ففيه شقتان كبيرتان متقابلتان ، أحدهما تتألف من غرفتين صغيرتين وملحقاتها يسكنها الضابط رشدي، والشقة المقابلة لها والتي هي شقتهما وتتألف من ثلاث غرف كبيرتين ومطبخ فى أعماقه تقع غرفة صغيرة كأنها لخادمة، والحمام وبين الغرف ثمة باحة كبيرة تفصل الباب عن الغرف، وما بين هاتين الطوابق ثمة درج قديم يصدر أصواتاً عند صعود أي كائن عليه وخاصة القطط.

كانت هند، بعد أن تنجز واجباتها البيتية كإعداد الطعام وغسل الملابس، تقضي بعض وقتها أمام التلفزيون، ثم تتجه للصلاة وقراءة القرآن بانفعال ورهبة.

كانت تخاف هند حينما تتذكر بعض من تلك القصص التي سمعتها أثناء طفولتها أو التي قرأتها فى بعض الكتب التي تتحدث عن العالم الخفي وزيارة الأشباح للأنس.

كان تلك التصورات عن العالم الخفي تثير رعبها الحقيقي، خاصة حينما تجد نفسها وحيدة فى ظلمة البيت، وحينما يراودها كابوس يجعلها عاجزة عن الحركة من مرقدها، كل هذا كان يرعبها بشكل حقيقي.

صارت هند حينما تستغرق فى الصلاة وقراءة القرآن تفز من أي حركة أو نأمة تسمعها فى شقتهما الفارغة، وكثيراً ما كانت تتصور بأن ثمة شبحاً أو روحاً تدخل عليها الغرفة أو تقف خلفها وهي مستغرقة فى القراءة، فتتوقف حينها عن القراءة للحظات ثم

تلتفت مباشرة إلى الخلف فلا تجد أحداً، فتستعيذ وتصلي على النبي وتقوم من جلستها لتذهب إلى غرفة الاستقبال لتشغل التلفاز وترفع صوته عالياً ليقضي على هذا الصمت والسكون والوحدة التي صارت ترعبها.

ومنذ عشرة أيام. صارت هند تتوقع حدوث كارثة ما، كارثة لا تستطيع أن تعرف ما هي. كانت تتوقع زلزالاً ما سيهز حياتها، وكان هذا الاحساس يعذبها ويرعبها!

******

٧ أغسطس من عام ٢٠١٣م، كان يوم خميس، وهو صباح اليوم الأول من عيد الفطر المبارك، قد تم العثور علي الضابط رشدي وزوجته وأبناءه الإثنين اللذان تتراوح أعمارهم بين ثلاثة وأربعة أعوام، مقتولين نحراً بالسكين والدماء منتشرة فى المكان وقد فارقوا الحياة وقد هزت الجريمة الغامضة المدينة، وبالطبع هناك شبهة جنائية فى وفاتهم، وقد تم استكمال الإجراءات النظامية للتحقيق فى القضية، وقد تفاجئوا الجيران بوجود الدوريات الأمنية، وقد هزت الجريمة كيانهم، وخيّم على اخوته حزن لا يوصف وعلى الرغم من التكهنات حول هوية الجاني، وعندما جاءت إجراءات النيابة لاستكمال التحقيقات فى مسرح الجريمة اذ وجدوا اختفاء الجثث، ان هذه هي المرة الثانية لجريمة مزدوجة، القتل وسرقة الجثث واختفاؤها!

ولدقيقة كاملة، حدق الكل فى الحجرة الخالية والدم المنتشر أرضاً ن فى ذهول تام وصمت مطبق، ثم ما لبس الشرطي أن قطع هذا الصمت، وهو يهتف:

- رباه، لقد اختفت الجثث تماماً.

غمغم المحقق فى ذهول:

- اين الجثث؟

أجاب الشرطي وحاول أن يقول شيئاً ولكنه عجز عن النطق وهو يلوح بسبابته مرة أخري، واتجهوا بأبصارهم الي حيث تنظر عيناه مرة أخي وبسرعة غريزية، لاحق الكل سبابته واتجهوا بأبصارهم الي حيث يشير وكان الشرطي أول من هتف وهو يرتد كالمصعوق:

- يا ألهى.

أما الباقون، فقد انطلقت من حلقهم شهقة عالية.

تم استدعاء مسؤول الشرطة، والذي عُنِف لاحقا لعدم كفاءة التحقيق. تنوعت النظريات بين الدهشة والزعر والتوتر بينهم.

- مستحيل لا يمكن أن يحدث هذا.

- وهتف آخر وهو يلوح بيده، فى شيء من الذعر:

- لم يحدث هذا فى جريمة من قبل.

قال: الشرطي فى عصبية:

- هناك سر غامض فى هذه الجريمة.

- سأله المحقق:

- أي سر هذا؟

أجاب الشرطي فى حزم:

- من فعلها جاء لسرقت الجثث حتى لا يترك أي خيط لنا فى هذه الجريمة.

- أتقصد أن من فعلها جاء مرة أخري وأنتم جميعاً بالمكان وسرق الجثث.

قال الشرطي متوتراً.

- لو جاء، لبقي له أثر او انتبهنا له، كيف له ان يدخل الي هنا ونحن فريق الأمن أمام الغرفة وبالأسفل باقي الفريق من الضباط والجنود.

تساءل المحقق وهو يحدق فى الغرفة.

- ربما لم ينتبه اليه أحد منكم.

هتف الشرطي:

- مستحيل

اقترب المحقق فى حذر، قائلاً:

- وماذا لو أن .....

قبل أن يتم عبارته، تجمد جسده فى مكانه بغته، واتسعت عيناه عن آخرها، وهو يحدق فى الدماء التي بأرضية الغرفة فالتقي حاجباً الشرطي وهو يسأله:

- ماذا هناك؟

حاول الشرطي أن يقول شيئاً، ولكنه عجز النطق مرة ثانية، وهو يلوح بسبابته الي حيث تنظر عيناه...

وكان الشرطي أول من هتف.

- يا إلهي!

وقد انطلقت شهقةً من الباقون، فما رآه الكل لم يكن جثة لأحدهم ولكن كانت فقط رأس الضابط رشدي المذبوحة.

وفي ذهول، غمغم الشرطي

- مستحيل. مستحيل

اما المحقق فقال فى لهجة أقرب الي الارتياع:

- ما هذه الرأس، اين باقي الجثة، أين الجثث؟ وما هذه الأشياء الغريبة من الأثاث والملابس وكأنها من رفات بشرية؟

سأل المحقق فى حدة:

- ماذا أصاب الجثث؟

- لقد أصبح أشبه بسر خفي.

التفت اليه المحقق بحركة حادة، قائلاً:

- ماذا تعني؟

- الأمر واضح للغاية يا فندم، ربما ما فعل هذا شبحاً.

- ولكننا لا ندري بعد، ما الذي فعل هذا اولاً ثم سرق الجثث؟

- ان الجهات الأمنية سوف تكشف تحقيقاتها ونحاول ان نكشف ملابسات هذه الجريمة.

******

في اليوم التالي، فى حدود الساعة الثالثة صباحاً، حينما عاد المهندس عوني وجد هند نائمة وبجوارها الكتاب التي كانت

تقرأ فيه وعرف أنها استيقظت لا لكي تقرأ، بل بسبب الصداع المؤلم التي تشعر به عند نومها، ووجد أن الكتاب الذي كانت تقرأه لأمير الشعراء أحمد شوقي حمل عنوان (ديوان شعر، قصائد فى حب مصر).

**يا مصر، حبكِ فى الفــؤادِ كبيرُ**

**وله أريــجٌ طيـبٌ وعبيـــرُ**

**هو دوحــةٌ أغصـانُها كعروقِنا**

**يمتدُّ فينا عطــرُها المســحورُ**

**هو ذلكَ الجبـل الأشـمُّ كمجدنا**

**رغمَ الزوابع راســـخٌ ووقورُ**

**هو شمسُنا الخضراءُ من أنوارها**

**لا يستقـرُّ بأرضنـــا دَيجــورُ**

**يا مصرُيا أرض السماحةِ والندى**

**يا واحـــةً يسعى لها المقــهورُ**

**في وجهـها للــزائرينَ بشـاشةٌ**

**ورحـابةٌ ومـــودةٌ وســـرورُ**

**في حضنِها دفءُ الأمانِ لخائفٍ**

**بالحــقِّ يُجبرُ عنــدها المكسورُ**

**في عُسْرها جــادَت وكـمْ ذي**

**عُسرةٍ بـلـغَ الذُّرا وتقهقـرَ الميسورُ**

**يا مصـرُ، كم أدمـى فـؤادكِ**

**حــاسدٌ أو جـاهلٌ متعاقلٌ موتورُ**

**ولكم عفـوتِ تكرمًا عن شـاردٍ**

**فأتـى إليـكِ وذنبـه مغفـــورُ**

**قصيدة فى حب مصر.**

******

مر يومين وفي منتصف الليل فى حدود الساعة الثانية صباحاً، حين دخل المهندس عوني الشقة دون أن تنتبه إليه هند. كان الطيف قد تسلل إلى غرفتها كعادته. لكن من حسن حظ عوني أنها فقط التي شعرت به وكأنه جالساً على السرير بجانبها. وكأن زوجها قد شعر بوجوده هذه المرة، لأنه قد بدي عليه الارتباك حينما دخل الغرفة عليها، ولكن ارتباكه للحظة، لكنه استرجع وضعه وكأن الأمر لا يحتمل أي شك أو تفسير مريب. هي لم ترتبك فحسب وإنما تجمد الدم فى عروقها واحتبست أنفاسها، لكن موقف الطيف كان غريباً، اذ شعرت أنه انصرف مسرعاً عندما دخل زوجها عوني ثم جلست تحدث زوجها عن مستقبلهما، ولماذا لا ننجب أطفالا لنزين بهم حياتنا الجافة، وهو يسألها لذهب الي الطبيب لأنه من الممكن يكون هناك مشاكل صحية بيننا وأنه علينا مراجعة الطبيب. حينها استقبلت الأمر بغرابة لماذا تحدثه فى هذا الأمر الآن؟ ولم تعلق على كلامه، لكنها شعرتُ انه بدأ يلتفت يميناً ويساراً وكأنه شعر به. وقد انتبهت لذلك فحدثته ان هذا الطيف يطاردني منذ

كنت بمفردي فى شقة والدي وخاصة بعد وفاته، بقي زوجها عوني معها فى البيت لأيام عدة، حتى أنه لم يذهب لعملة فى تلك الأيام، وحينما عاود الخروج، ولو بشكل متقطع كانت تجلس مرتبكةً وخائفةً، وأحياناً كانت تفز من نومها نتيجة كوابيس تقبض على روحها، كانت تخاف شيئاً ما ولكن لا تعرفه.

******

مر يومين وبعد انتهاء ساعات العمل ذهب المهندس عوني لشراء بعض الأغراض من مجمع تجاري كبير قريب من بيته، وداخل السوق كانت السلع متراكمة فى كل المحلات تمنح الزائر إحساساً بالوفرة، مواد مستوردة من مناطق عدة من العالم، علب وزجاجات وبضائع بأشكال وألوان مختلفة، الزبائن يتنقلون فى رحاب السوق يتفقدون هذه البضاعة ويسألون عن أخرى، أكثر رواد السوق نساء. يرتدين ملابس أنيقة، بعضها يرتدين ملابس أوربية خاصة الأصغر سناً منهن. وحينما غادر السوق منتشيً بما تحصل عليه. ركب سيارته وانطلق ومضى فى طريقه نحو بيته، فقرة عينة تنتظره، فى تلك اللحظة اختفى العالم من ناظريه، فقط تمركز الكون كله فى عشقها، حالم، سعيد، يسبح فى عالم مختلف لا ينتمي إلى العالم الذي يخطو فى رحابه بخطوات غير واثقة من نفسه، عالم تؤثثه ظلال الحلم، والأمل، والثقة فى المستقبل، وحينما دخل البناية، بغتة وبشكل مفاجئ لم يتوقعه أبداً، أخرجه صوت قوي من شرود.

أنت توقف.-

انتشل نفسه من الجو الحالم الذي كان يهيم فيه. نظر خلفه مستطلعاً مصدر الصوت، فإذا به يرى رجلاً يرتدي زي شرطي على ملامحه تبدو صرامة مخيفة، حاول أن يتجاهله، غير أن الصوت الهادر الذي تعقبه حسم الأمر.

- أنت. توقف. نعم أقصدك أنت.

لم يتلعثم عوني، ولم يرد وإنما ظل جامداً فى مكانه، يحملق فى الرجل الشرطي بغضب ما حتى جعل الشرطي يشعر بنوع من الخوف والرهبة.

قصده الرجل بخطوات حازمة. توقف إزاءه، ثم خاطبه قائلا:

- بطاقتك

وضع عوني بعض الأكياس أرضاً فتش جيوبه الداخلية، أخرج البطاقة مدها للشرطي، الذي تفحصها بكثير من الاهتمام ارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتيه، ثم ما لبث أن أعلن عن ظفره قائلاً:

- أهلا. أنت عوني.

- نعم. أنا المهندس عوني.

- أهلاً. هيا تقدم أمامي.

- ماذا فعلت؟ أنا لم أرتكب خطأ سيدي. أنا أحمل بعض مستلزمات البيت. انظر سيدي.

عمد إلى كيسه أخرج بعض محتوياته يعرضها على الشرطي، الذي استفزه هذا السلوك من المهندس عوني فرفع رجله، وركل الكيس بعيداً بما فيه، ثم خاطبه قائلا:

- اسكت يا ابن... أمامي وإلا جلدتك هنا أمام الملأ وفي بيتك.

لم تعد لديه الطاقة اللازمة لفعل أي شيء، فقط كان يتهادى مع خطواته الشاردة وحين انتبه الشرطي إلى فتوره فى المشي، لكزه فى ظهره، ثم خاطبه بلهجة صارمة، تفوح منها رائحة حقد وليد.

- هيا تحرك. اللعنة عليكم. هل سنقضي اليوم كله معك. يجب أن أطهر البلد من أمثالك.

انصاع لأمر الشرطي ومضى فى طريقه والذي ركب معهم فى الخلف سيارة الشرطة، وفجأة غصة ما قوية فى صدر هذا الشرطي وانتقلت إلى حلقة، مانعة إياه من أن يتنفس إلا بصعوبة وهم فى طريقهم الي مركز الشرطة. وقد حضر فى المكان كأنه طيف أمامه وكأنه لا يراه أحد، وعند وصولهم المركز سقط الشرطي أرضاً، فقد بدا له كأنه شبح قوياً وصلباً وعنيداً وشريط أحداث يومه تتسارع فى ذهنه ثم مات فالتو واللحظة، حينها شعر عوني برائحة بيته.

******

تحت تهديد الشرطة وكلمات البعض منهم التي تتقاطر غضباً، وجد عوني نفسه فى غرفة واسعة ربما كانت فى وقت من الأوقات مستودعا لشيء ما. رأى جمعاً من السجناء فى نفس المكان من فئات عمرية مختلفة. كانت سحنات الناس وملابسهم تدل على أنهم ينتمون إلى طبقات اجتماعية متنوعة.

اختلط المهندس عوني بالناس. كلهم فى حالة لا تصدق، يكبس الذهول عليهم. اقترب منه رجل يكبره ببعض السنوات هو

أحد سكان عمارته وقد بدأ الشيب يغزو شعره يبدو أنه رجل متعلم، ويقوم بوظيفة محترمة، قدر المهندس عوني أن تكون فى التدريس أو المحاماة، فهو لم يعرفه من ولكنه يعرف هذا النوع من الناس الذين تبدو وظائفهم على ملامحهم، ومن تلك المسحة الخاصة على وجوههم، التي تميزهم عن باقي الناس وعندما يتحدثون يكون كلامهم جميلاً، يشبه كلام الراديو. فهو يفهم كلامه بشكل كلي، غير أنه لا يستهويه. تردد للحظات لكنه فى النهاية حسم أمره بعد أن شعر أن هذا المكان قد ألغى الفوارق بين الجميع. هنا أصبح الكل واحداً، ومتساوياً فى المصير، نظر إلى الرجل باندهاش من لم يفقه شيئاً مما يجري أمامه من أحداث، ثم سأله:

ماذا يحدث؟ لماذا جمعونا هنا؟

ابتسم الرجل ابتسامة الواثق من معلوماته، ثم أجابه:

- سيحققون معنا نحو سكان البناية، يعتبروننا الآن مجرمين.

سأله عوني مندهشاً:

- وماذا فعلنا نحن، لم نفعل شيء؟

بنفس الابتسامة الساخرة التي لم تفارق شفتي الرجل، أردف قائلاً:

- انهم يعتبروننا مجرمين. الجريمة غامضة للجميع، جعلتهم ينظرون للجميع فى ريبة والي كل متهم وكل من يسكن بجوارنا ثم قال بصوت خافت:

- إنهم ينتقمون، يبدو من فعلها جعلهم يشعرون أنه انتصر عليهم أو أنه يطاردهم فى أعماق دارهم، لا تنسي ان المجني عليه رجل شرطي وقُتل فى أبشع صورة له ولأسرته وفي اليوم الأول من العيد.

حينما دخل المهندس عوني إلى دائرة المباحث الجنائية الذي مضى اليها صاعداً من غرفة الحجز. وفي نهاية الممر دخلوا غرفة شبه مفتوحة. نظر إلى داخلها فوجد مجموعة من الضباط والأمناء والمخبرين ينتظرونه. نظروا إليهم، وما أن دخل حتى قام له رئيس الشرطة الجنائية مرحباً، فقدم المهندس عوني نفسه:

- المهندس عوني، مدير الشركة الهندسية الإنجليزية.

ابتسم له وهو يقول:

- أعرفك جيداً.

- أهلا مهندس عوني. أهلاً وسهلاً.

- أهلاً بيك يا فندم.

- فقط أردت أن أعرف بماذا يمكنني أن أساعدكم، ولماذا أنا هنا؟

- نتأسف لك مهندس عوني لوضعك فى غرفت الحجز أمس، فلقد توفي زميل لنا وانشغلنا جميعاً فى إجراءات موته، ولكن على كل حال أنت لست متهماً ونعتذر عن أي اساءه قد صدرت من أي زميل، ولكن يمكنك أن تفيدنا جيداً فى هذه القضية. لقد شغلت هذه القضية الراي العام وسيادة وزير الداخلية بنفسه يهتم بها.

- الأمر متوقف عليك أنت.

ثم صمت رئيس الشرطة للحظات وكأنه كان يفكر بالكيفية التي يجب عليه بدء الحديث بهل. وبهدوء وبلا أي توتر، بل وبتركيز شديد فى نظراته حدق فى وجه المهندس عوني وقال:

- يمكنك أن تساعدنا يا عوني.

- إذا كان الأمر كذلك فيسرني طبعاً أن أساعدكم.

صمت رئيس الشرطة للحظه، ثم فجأة نظر فى عينيه محدقا فيهما بتركيز قائلاً:

- مهندس عوني. أرجو أن تجيب على أسئلتي بدقة.

- تفضل.

صمت رئيس الشرطة للحظات. أخذ سيجارة من علبة السجائر التي كانت أمامه، وكان عوني فقط ينتظر الأسئلة الحاسمة.

- متى شاهدتَ الرائد رشدي آخر مرة؟

لم يرتبك المهندس عوني. ولكنه كان يريد أن يرتب أفكاره ويكسب بعض الوقت، فقال محاولاً أن يسيطر على نبرة صوته:

- شاهدته منذ يومين حينما جاء للسؤال عن خطابه الذي قد أُرسل له من قبل وزارة الداخلية يتضمن البطاقة العلاجية الشخصية له ولأسرته كما قال لي، وكانت هي أول مرة أتعرف عليه فقد قال لي حينها أنه يعمل ضابطاً بالشرطة وقال لي أنه حينما تأخر الخطاب اتصل هو بهم، فقالوا له إنه ربما قد استلم الطرد أحد الجيران، فأراد أن يسأل إن كان قد استلمت هذا

الطرد أم لا ثم نزل الي جارنا القريب منه ليسأله هو الآخر لأنني لم أستلمه.

نظر رئيس الشرطة إليه بابتسامة مشوبة باستخفاف وقال:

- هكذا بدأت تتعاون معنا.

حدق رئيس الشرطة منحنياً على طاولة المكتب وقال له بنبرة حازمة:

- جيد أنك تذكرت يا عوني.

- أين كنت يوم الخميس الماضي، الساعة الثانية عشر ظهراً؟

صمت المهندس عوني للحظات وكأنه يحاول أن يتذكر، وقال:

- أنه كان يوم عيد وكنت بالبيت مع زوجتي.

نظر رئيس الشرطة إليه بإمعان وكأنه يقرأ أفكاره. تضايق المهندس عوني من نظراته، وفكّر للحظات فى نفسه بأن هذه وقاحة منه لذا يبادر ليسأله:

- لكن هل لي أن أعرف لو سمحت يا فندم، لماذا كل هذه الأسئلة.

نظر رئيس الشرطة إلى عوني بهدوء. سحب نفساً طويلا من سيجارته التي كانت على وشك النهاية، وسحق السيجارة فى منفضة السجائر وهو ينفث الدخان من فمه، ثم قام عن كرسيه ودار حول طاولته، واقترب من المهندس عوني دون أن يخفض نظراته عن وجهه، واستدعي رئيس الشرطة زوجته هند ومن خلال التحقيقات اتضح انه لم يكن حاضراً فى مشهد الجريمة،

ولم يشارك فى عملية ارتكابها. تم إخلاء سبيله بضمان محل إقامته وعمله، وقيدت ضد مجهول، ومرت أيام على ارتكابها، ولم يستدل على الجاني، ولكن ظلت تفاصيلها لغزًا حير رجال الشرطة، ودفعتهم فى أغلب الحالات إلى حفظ القضية تحت مسمى ضد مجهول.

******

بعد تلك الليلة التي خرج فيها المهندس عوني. وبعد انقلاب حالت زوجته هند النفسية. بدأ عوني وبشكل مفاجئ يحدثها عن ضرورة الانتقال إلى الإسكندرية، حيث أخبرها بأن وضع القاهرة مرتبك وبأن لديه مشاكل فى العمل الذي يعمل فيه، وأنه يكره القاهرة. أخذ عوني يرجع مبكراً جداً إلى البيت، وبعض الأحيان لا يخرج نهائياً، بل يبقى فى البيت معها لأيام ولا يخرج إلا لضرورات العمل وهي أيضاً لا تخرج الي لضرورات العمل.

في الإسكندرية، أجّر زوجها بيتاً، لكنه فى الواقع ليس بيتاً، بل غرفتين مع مطبخ، إلى جانب حمام صغير، وكان زوجها عوني يخرج صباحاً لكي يحصل على عمل وهي قد استقالت من عملها برغبة من زوجها، بينما كانت تبقي فى غرفتها تشاهد التلفزيون منتظرة أن يأتي زوجها عوني لتتواصل من خلاله مع العالم وتفهم منه ما ينتظرهم، وطالت فترة البحث له عن العمل.

في أول يوم لسكنهما، كان هناك من ينتظرهم، جاءتهم جاره وهي امرأة منتقبة ومعها زوجها الشيخ الكبير، بدأوا بالحديث معها فى بعض تعاليم الدين وعن ضرورة الدعوة الإسلامية

والجهاد والابتعاد عن طريق الشيطان! وقدمت لها كتاباً به بعض أفكارهم ومعتقداتهم! وحين عاد زوجها عوني أخبرته، سخر منهما زوجها عوني محاولاً إخفاء ما يبطنه أمامها، وقال إن علينا أن ننتبه من هؤلاء الناس، وإن الإيمان فى القلب وإن الإنسان ما دام لا يؤذي الآخرين فهو غير مذنب أمام أحد، وإن المسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده، وإن الالتزام مسألة شخصية، فإذا أردت أن تفعلين شيئاً ما فهذا شأن يخصك وأنا لا امنعك، وإذا لم تريدي فأنا لا أجبرك على شيء. حينها أحست أنها تزوجت من إنسان غريب وغامض على الرغم من أنها تفهمه بشكل حقيقي ولكنها لا تبوح له بمشاعرها هذه احياناً.

******

في سبتمبر عام ٢٠١٣م، وقد مر شهرين على انتقالهما الي الإسكندرية، جلست هند تتذكر كيف أنه ذات صباح دعاها إلى أن تذهب معه لمراجعة إحدى السجلات المدنية. وبعد أيام جاء فرحاً على غير عادته، طالباً منها الخروج معها لشراء بعض الملابس لأنه حصل على عمل فى شركة كبيرة بالإسكندرية للأعمال الهندسية، وحينما جاءت الي السكني فى منطقة الحضرة الجديدة وهو المكان الذي يعيشون فيه الآن بالإسكندرية فهي من الأحياء الناشئة الحديثة، والتي دخل العمران عليها منذ وقت قليل وتوجد هذه المنطقة بين مناطق حيوية بالإسكندرية. وتقول فى نفسها: ما الذي جاء بي إلى هذا المكان؟ فمن بيتنا ومكان حياتي فى بلدي إلى مكان حياتي هنا فى الاسكندرية! ومما يثير سخريتي من نفسي أحيانا هو أنني

الآن مغتربة، بل وأتعجب من سكانها أيضاً الذين يصدقون كل أكاذيب المصريين عن أنها عروس البحر المتوسط، وأن بها العديد من الأماكن السياحية الرائعة والجميلة التي منها القديم والحديث والتي تجذب إليها الكثير من السياح والزوار من داخل مصر أو من الدول الأُخرى! الحياة هنا فى الإسكندرية غير منظمة وغير هادئة، لكنني سعيدة، لماذا؟ أنا نفسي لا أعرف السبب.

أحست أنها وبمرور الأيام، صارت قاسية القلب باردة الأحاسيس، تشعر بالوحدة والوحشة، زوجها الذي انتبهت إلى أنه كان يكنّ لها شيئا من المودة ويكشف عنها للحظات، هو أيضا صار قاسياً ومنعزلاً وصار يتحدث بصراحة عن إعجابه بهذا العالم الخفي المجهول، وكأنه يريد أن تفصح له عن شيء كأن تقول له أن أحدهم يعشقها أو قد مسها منهم طيف، فما لديه من شكوك تعرف أنها حقيقة! على الرغم من أنها بدأت بقراءة القرآن بشكل يومي والالتزام بالصلوات بل وقد تحجبتُ، وأيضاً ثمة شعوراً جديداً بدأ يخترق عالمي إنها مشاعر الأمومة التي بدأت تغرقها. أحست بالحاجة إلى أن تنجب طفلاً. تريد أن تصير أماً.

******

ولتغير الأحوال فجأة من حب الي كره أحياناً، وكثرة الشك بينهما، وعدم التماس الأعذار، أحست بأن زوجها أصبح قبيحاً، فذهبتً الي جارتها المنتقبة التي جاءت لزيارتها من قبل مع زوجها الشيخ الكبير فهي تسكن بالطابق السادس والأخير من العمارة،

وحينما جلست معها، قالت لها بأنه يوجد شد وجذب بينهما وقالت لها بأن المشكلة بينهما تكمن فى أنه يغيب عن البيت كثيراً وان أحد صديقاتها قالت لها يوم ما أن تذهب إلى معالج روحاني يداوي حياتها بالقرآن ، وقالت لها أن بيتها قد يكون مسكوناً بجن عاشق لها أو لزوجها، قالت لها المنتقبة بأنها تسطيع أن تعالجها وأنها راقية ثقة وسوف تعطيها أجوبة لجميع الأسئلة التي سوف تطرحها وسوف يساعدها زوجها الشيخ أحياناً، أطلقت لها بخور وأشعلته، وقامت برش رائحة طيبة فى المنزل، وقالت لها لأن الجن يهرب من الروائح الذكية، داعية لزوجها فى الوقت ذاته إلى رش الماء والملح فى المنزل وان تضع ورقة اللورية تحت الوسادة وقالت لها أنها تتعوذ دائماً وعندما أرادت قراءة القران قال لها توقفي، وسوف أقرأ انا حتى تكوني محصنة منهم.

******

وفي ذات اليوم فى الساعة العاشرة مساءاً جاء زوجها عوني ومعه بعض أصدقاءه ولمحت هند بيده حقيبة سوداء مليئة بالوثائق والملفات حتى فهمت بأنهم ينوون قضاء سهرة وكأنها اجتماعات سرية فى البيت. فقد عاد مرحاً، وكان بين لحظة وأخرى يلقي نكتة، ولم يكن هذا بجديد عليها، لكنها الآن تشعر بمهانة أكبر لأن هذا يحدث أمامها وفي بيتها، بل إن أحدهم ارتبك لوجودها عندما أطلق زوجها نكاته المسيئة فى حب الوطن. هل يتعمد الإساءة إليها؟ ولماذا؟ والآن هو يزداد مرحاً كلما رأى الغضب فى عينيها.

أعدّ زوجها صحناً من الفاكهة، وفتح كيساً من المكسرات، ووضع زجاجة ماء على الطاولة، ثم اتجه إلى غرفة مكتبه وعاد بزجاجة عصير. أما هي فحاولت إشغال نفسها فى المطبخ، لكن الوقت كان مبكراً كي تذهب إلى النوم، لذلك جلست على غرفتها المقابلة للصالة التي يجلس فيها الأصدقاء وأخذت تشاهد التلفزيون الذي كان يعرض فيلما عن هجرة الرسول وتناول الهجرة ويحكى الفيلم فترة قبل دخول الإسلام، حيث عاشت الجزيرة العربية فى فوضى ووثنية ثم جاء الإسلام فتمت محاربته وهجر المسلمين إلى يثرب. لم تكن هند تفهم أحداث الهجرة من قبل ولكنها كانت تفهم سياق الأحداث بصرياً من الفلم، وكانت قد تابعت أحداث الفيلم قبل وصول زوجها وأصدقائه بفترة.

ذهبت هند إلى الصالة، ورغبتها فى الانتقام مما تراه لم تهدأ فقد سمعت وهم بين لحظة وأخرى يلقي نكتة على شهداء الثورة، حاولت أن تخرج لتنصحهم عما يقومون به من إساءة لوطنها ولأبناء وطنها، لكنها استغربت أكثر لأنهم كانوا يتحدثون عن مجموعة أحداث قتل قد وقعت من قبل وسجلت ضد مجهولين وقد اذاعها التلفاز مرات عديدة، فلم تتمالك نفسها، إذ قالت:

- لم يبق سوى أن تتحولوا إلى قتلة.

- نظر الرجال إلى زوجها عوني معاتبين على طريقة كلام زوجته.

فقال لها غاضباً.

-أغلقي فمك.

- لماذا تقضون أوقاتكم فى السخرية من وطنكم وشهدائه، ألا تخافون اللّه.

- فالتفت إليها رجل كان ينظر إليها بنظرة حادة وعينيه بها حمره، وقال:

- وما المشكلة يا مدام؟ الليل طويل ولدينا من الوقت ما يكفي للسهر والثرثرة.

فقاطعته باستياء.

- قد لا تجد وقتاً اضافياً، إذا كنت تستثمره فى شيء نافع ومفيد، وليس فى السهر والسخرية فيما لا يفيد.

لم تكمل هند كلامها إذ قام زوجها وأخذها من ذراعها بقوة وخرج بها من الصالة متجها إلى غرفة النوم، وهناك دفعها وأغلق الباب عليها، وحينما عاد قال له أحدهم، لا تهتم لما تقول. فى غرفتها شعرت هند بالندم لما قامت به. فهي تحترم زوجها وتحبه وعليها أن تقدّر أنه يعيش وضعاً نفسياً صعباً فهو له مكانته وسمعته، ولكن حاله حال اللصوص والحرامية وموزعي المخدرات والأميين والكذابين. هو مثلهم حقاً لما هذا التناقض! وتتذكر أنها هي التي انجرّت تحت تأثير غرورها الأنثوي وأحبته واصرت على زواجها منه خاصة بعد وفات والدها، وحبها الغامض له والذي فى أعماقها لا يجعلها تجرحه أمام هؤلاء الذين هم ليسوا أصدقاءه.

## الفصل الخامس

# كوابيس الشيطان

في وسط أرض واسعة مليئة بالأشجار التي تحيطه لم يكن فيها أحد من البشر، كانت الشمس محتجبة بالضباب. الضباب الكثيف يغطي الأفق المفتوح من الفضاء فى وسط الفضاء الواسع كان قبر فى منتصف المقابر، ومن خلف جدار القبر بدأت حركة ما شيئاً فشيئاً برزت أشباح ملفوفة بالقماش الأبيض وكأنها مومياء. أخذت الأشباح تقترب منها بحركة بطيئة إلى أن التفّت حولها، ثم انحنت وفتحت القبر. كان داخل القبر فتاة بلفافة لونها رمادي مخيفة. لم تغلق الأشباح القبر ثم أخذت تبتعد راجعة إلى مكانها خلف سور المقابر إلى أن اختفت، القبر ما زال مفتوحاً من القبر خرجت هند واقفة، كانت فى ثوب أبيض. خرجت من القبر وهي تحمل فى يدها جمجمة مثقوبة ومشت متجهة نحو جهة الضباب إلى أن اختفت فيه من الضباب جاءت أصوات حركة بدأت تقترب. ظهر فهد أسود، أخذ الفهد يقترب من القبر إلى أن وقف قربه. مدّ رأسه فيه ثم رفع رأسه وفي فمه جمجمة أخري مثقوبة. ابتعد الفهد مختفيا فى الضباب من حيث أتى وهو يحمل فى فمه الجمجمة. من أعماق الضباب ظهرت الفتاة الملفوفة بالثوب الرمادي ثانية، وبنفس الخطوات والأيدي الممددة للأمام، جاءت القبر ودخلت ثم تمددت فيه وأغلقت الأشباح القبر عليها بقوة.

فزّت هند من النوم مرعوبة، كان العرق قد بللها، أزاحت الغطاء وجلست على حافة السرير بصمت لفترة ليست بالقصيرة. نهضت بتثاقل وخرجت من غرفة النوم إلى غرفة الاستقبال، أشعلت النور فى المصباح الكهربائي، وجلست على الأريكة، كان زوجها عوني قد خرج مع الرجال الذين جاء معهم. تأملت

الصور القليلة التي على الجدران، توقفت أمام صورة كبيرة يظهر فيها أباها جالساً على مقعد كبير بجسمه الضخم وكرشه الكبير و شاربه الأسود كأنه هلال فوق فيه، فى بذلته السوداء المحلاة بالمنديل الأبيض، وتقف هي و أخواتها الي يساره عند ركبته لا يكادون يتجاوزوهما إلا قليلاً، فتتطلع الي عدسة المصور بعينيين حزينتين، فتري وقفت أمها الي يمين أباها معتمدة بساعدها الأيسر مسند الكرسي الكبير فى فستان طويل يشتمل عليها من العنق الي القدمين، ولا ينحسر من ساعديها إلا علي اليدين بقامة طويلة وجسم نحيل ووجه مستطيل وعينين واسعتين سوداوين وأنف دقيق مستقيم ونظرة حالمة تقطر حناناً ولا تخلو من بريق ينم عن الحيوية وحدة المزاج. همست فى نفسها وقالت: يا له من وجه شاء الرحمن أن يكرره فى وجهي حتى قيل إنه لا يفرق بيننا الا القوام! هذه صورة تطل عليها من عالم الذكريات، فجأة سمعت حركة المفتاح فى الباب، فأسرعت بالذهاب الي الباب، بعد لحظات دخل زوجها متعباً، ساهي النظرات. ارتسمت على وجهه علامات الاستغراب حينما وجدها لا تزال يقظه ولم تنم الي الآن، إذ كانت الساعة تقارب الثالثة فجراً.

راود زوجها للحظة شعور بأنه كان قاسياً معها أمام الأصدقاء هذا المساء، تأملها واعتذر لها. كانت هند علي الرغم من أنها امرأة جميلة، الا أن شخصيتها وملامحها تشير بأنها امرأة لديها عالمها الخاص والخفي أحياناً.

******

مر يومين وفي يوم جمعة، استيقظت هند من نومها متعبة. أحست بجسدها ثقيلاً على الحركة لكنها قامت ببطء متجهة إلى المطبخ لتعد الشاي. نظرت إلى الساعة الحائطية فوجدتها تشير إلى الحادية عشرة. حينما دخلت غرفة الاستقبال وجدت زوجها منهمكا بالقراءة، ومن ملامحه عرفت أنه لم ينم أو أنه استيقظ مبكراً جداً لكي يقرأ، ولمحت أنه يواصل القراءة فى كتابة الغريب الذي يحمل عنواناً غريباً أيضاً. انتبه لها زوجها عوني وهي واقفة قرب الباب. فجأة رفع رأسه إليها ونظر إليها بشرود وكأنه لم يرها ثم واصل القراءة، لكنها وقبل أن تلتف لتخرج سمعته يقول:

- ممكن تعدّين لنا الشاي.

لم تلتفت إليه وإنما واصلت طريقها إلى المطبخ، قائلة:

- لقد بدأت أعدّه.

في المطبخ انتظرت للحظات حتى بدأ الماء يغلي، وضعت أوراق الشاي اليابسة والسكر فى كوبين وسكبت عليه الماء المغلي ووضعتهما على صنيه، وتوجهت بها إليه.

******

في صباح اليوم التالي ، دخلت امرأة فاتنة الي الشركة الهندسية التي يعمل بها المهندس عوني، ظن أنها إحدى الموظفات الجدد، دخلت إلى مكتبه، بعد أن قام عوني بمراسيم الترحيب طلب أن يسمع ملاحظاتها عن الشركة وانها سوف تسعد بالعمل لدينا، ولكن كانت مُفاجئة فى كلامها فقالت له بأن

ملاحظاتها ربما لا تعجبه، وربما سينزعج منها، فنفى ذلك وأصر على أن تقول ما لديها وبصراحة شديدة، فقالت له كلاماً وكأنها كانت قد أعدّته، لأنها لم تتوقف ولم تتردد فى سرد ملاحظاتها الجريئة، فى حين كان هو يركز فى كل الكلمات والجمل التي فتحت باباً لسعادة مؤقتة فى حياته.

قاطعها عوني مستفسراً وكأنه استلم رسالة خفية منها قائلاً:

- هل أنت متزوجة؟

نظرت إليه أول الأمر بغرابة لمقاطعته لها مستفسراً عن هذا التفصيل من كل ما قالته، ثم استرخت ملامحها وابتسمت ابتسامة خفية، وكأنها فهمت بأنه يريد أن يتعرف عليها شخصياً، ولا يعنيه ما تقوله عن الشركة:

- لا. كنت متزوجة من مدير الشركة المصرية التركية للمقاولات.

لم يصُدم من إجابتها وكأنه علي علم بحياتها.

- أرجو ألا تكون ملاحظاتي جارحة أو مزعجة على شركتكم.

لم يفكر المهندس عوني كثيراً فقد حاصر هذه المرأة الفاتنة بحديثه وبوسامته.

- بالمناسبة. هل تدرين أنني لا أعرف اسمك؟ فمن شدة ذهولي لم أسألك عنه!

نظرت إليه وقالت:

- آية اللّه. آية اللّه أغا.

أصابت المهندس عوني دهشة حقيقية. تراجع إلى الوراء. وقال وكأنه يحدّث نفسه:

- أغا!!

صمت للحظات.

انتبهت هي لظلال غبطة مرت على وجهه. وقالت:

- ماذا اصابك يا بشمهندس؟

- أنت آية من الجمال.

- ليس أمامنا وقت للحديث أريد أن أذهب الي مكتبي.

******

في اليوم التالي لهما لم تأت فى موعد عملها مبكرةً. تذكّر أنه لم يسألها فى آية قسم بالشركة تعمل هي. وكان يرغب فى رؤيتها على الدوام، فهي امرأة أنيقة بل وفاتنة، وبدت له أنها مثقفة وجريئة، ومن خلال ملاحظاته خمّن ربما هي أيضا تمارس الهندسة التحليلية والتصميم المتكامل للأنظمة البيئية، فكلامها يشير بمعرفة علمية وفنية متميزة، وهي على ثقافة عالية أيضاً لم يجدها حتى بين رؤساء المشاريع الهندسية، فمن هي يا تُرى؟

فكّر مع نفسه. اذنً هي مطلقة، سوف أعرض عليها الزواج أولاً، ثم يجب على أن أستأجر شقة خاصة لكي تكون عشاً زوجياً لنا، إذ يبدو أنها أيضا ترغب فى الارتباط والزواج فهي لازالت صغيرة فى السن بل وجميلة، وقد لاحظ أنها تهتم به،

وكأنها لا تمانع من الزواج منه، فهي لم تعترض بل رحبت بالتواصل بينهما، لكن لماذا؟ ما الذي أغراها فيه، هل أن جميع الرجال أو على الأقل الذين يتحدثون عن الالتزام بالعمل بشكل عام هكذا مثله حينما يقابلون امرأة جميلة وفاتنة مثلها لا يفكرون إلّا فى سبل الوصول الي الزواج منها أم لأنه يفهم أن الشرع يسمح بهذا التعدد فلا مانع من الزواج من الثانية والثالثة والرابعة؟ فالزواج وإقامة حياة جديدة معهم يجعل الحياة رائعة؟ ولكن هذا هو الحب، ما معنى الحب إذنً؟

******

حينما رجع المهندس عوني ذلك اليوم عصراً إلى البيت وجد أن زوجته هند نائمة. ألقى التحية دونما اهتمام ودخل إلى غرفته حتى دون أن ينتظر سماع رد التحية فقد وجدها نائمة. انتبهت لدخوله، فقامت وعلى وجهها ما يشبه الاعتذار، قائلة:

- لقد تأخرت اليوم، فظننت أنك لن تأتي إلا مساءً، فتمددتُ ثم غفوت.

- سأصب الطعام، فهو جاهز، بل وما زال ساخناً.

لم يعلق على كلامها وإنما سألها:

- هل أكلتي، وهل أخذتي أدويتك فى مواعيدها؟

- نعم.

خرجت من الغرفة، بينما وضع هو حقيبته الجلدية جانباً ونزع قميصه الذي كان قد ابتل من التعرق، وكذلك سرواله، ثم لبس ملابس البيت التي أخذها من على حمالة الملابس.

حينما جاءت هند بصينية الطعام كان عوني متمدداً على الأريكة محدّقاً إلى سقف الغرفة! وضعت الصينية على الأرض فنزل هو وجلس على البساط المفروش على إحدى جوانب الغرفة، وبدأ يأكل وهو ساهم النظرات، فسألته مستفسرةً:

- هل حدث شيء ما؟

انتبه إلى سؤالها ونظر إليها مستفسراً.

- لا، لم يحدث شيء، ماذا يمكن أن يحدث؟

انتبهت لجفاف لهجته. فقالت بنبرة مترددة.

- لا أعلم، لكنك ساهي النظرات، فقلت ربما حدث شيء؟

فقال بعصبية واضحة واستياء من الأسئلة.

- لا. لم يحدث شيء.

ارتبكت هند فقامت خارجةً ملتفته له، وهو يقول لها:

- حضري الشاي، وبعد ذلك احمليه لي فى المكتب.

- حاضر.

حينما دخلتْ إلى مكتبة وجدته متمدداً على الأريكة التي بالغرفة. بيدها صينية الشاي وعليها كوبين من الشاي مع السكر. فكّر للحظة بأنها أجمل حتى من المرأة الفاتنة الغامضة التي اقتحمت مكتبه فى الشركة فجأة، والتي طلب منها أن يراها دائماً فى مكتبه.

******

مر أسبوعين والمهندس عوني يري المهندسة آية الله أغا كل يوم، وفي أحد الأيام حينما ذهب المهندس عوني الي عمله. وحينما

توجه ناحية مكتبه وجدها جالسةً فى مكتب سكرتيرته تنتظره. ألقى عليهما التحية وعندما سألها عن موعد وصولها اليوم الي العمل، قالت له أنها تأخرت عن موعدها أيضاً، واعتذرت له، اجتاحته مشاعر متضاربة. غضب لأنها لم تأت فى موعد عملها بالضبط وفرح لأنها جاءت الي مكتبه فى موعده الذي أراده هو، ولأنها موجودة وتنتظره. لكنه حاول أن يتماسك ولا يكشف عن لهفته بسهولة هذه المرة أيضاً. لم يحدثها فى الممّر وهو متجه الي باب مكتبه، وإنما فتح باب مكتبه فدخلتْ خلفه بشكل طبيعي، وما أن صارا فى المكتب أسرع وهو عند الباب لمصافحتها، داعياً إياها إلى الجلوس، بينما جلس هو على كرسيه خلف طاولة مكتبه، مبادراً الكلام.

- أعتذر لك، لقد جعلتك تنتظرين كثيراً.

انتبهت هي إلى أنه يكابر فلم يسألها عن عدم حضورها إلى العمل متأخرةً، فقالت وكأنها تحاول أن ترضي غروره وكبرياؤه.

- أنا عليّ الاعتذار يا سيادة المدير. لأني تأخرت عن موعد عملي اليوم! فلقد كان يفترض أن أكون هنا بالأمس واليوم مبكراً، لكني لم أتمكن من ذلك لأن أبي جاء من السفر ومكث معنا هذا الأسبوع قبل أن يغادر الي عمله فى قطر.

شعر برضا نفسي لأن حجتها مقبولة. برغم الخاطر الذي مرق فى ذهنه مباشرة.

- وأنا قد انتهيت من المشروع بالأمس، وانتهيت من عمل التصميمات النهائية والتخطيط وجداول الكميات ويبقي الآن احالة الاعمال للقسم التنفيذي.

- لكنك لم تأتي. ولم أتوقع مجيئك اليوم.

فابتسمت له وقالت بدلال:

- أنا آسفة حقا لأني لم أستطع المجيء، ولكن كيف تفكّر هكذا، ألست المساعدة الأولي لك فى كل مشاريع الشركة، وقلت لك من قبل سوف أعمل معك هنا بكل جد وإخلاص وسوف أعمل فى صمت، وانا لن أتراجع عن ذلك؟

غمرته سعادة لا يعرف كيف تفجرت فى أعماقه. وأحس أنها معجبة به فعلاً، فقال بحماس:

- أنا لم أصدق أنكِ كنت هنا. ظننتك وهماً.

- وهماً. أم حلماً؟

نظر إليها بإعجاب لهذه الالتفاتة الذكية ولأنها لم تمانع من تحول الكلام عن العمل والمشروع الي إعجابه الشديد بها وقال:

- نعم. أنت حلم جميل ومذهل. ولا أصدق أنك الآن أمامي ثانية !

أعجبها ما قاله. شعرت بأنها تتجاوز معه الكثير من الحواجز والمواضعات الرسمية. فقالت بمرح وإلفه:

-هي. هي. هي. سيصيبني الغرور يا سيادة المدير.

- انا أريدك حقاً فى مملكتي.

- عن أي مملكة تتحدث عنها يا بشمهندس؟ ليس أمامنا سوى دقائق!

تدارك هو الموقف حين انتبه لنبرة الحزن فى صوتها، وقال متراجعاً:

- أقصد أنك فى مملكة الزواج سوف تكوني سعيدة.

نظرت إليه بتركيز وقالت بنبرة مشوبة بالتحدي واستقلالية الرأي:

- شخصياً لم أكن يوما فى مملكة الزواج! إلّا إذا اعتبرتَ بيت أبي هو مملكتي. أعتقد أن الاستقلالية هي الحياة نفسها!

- أنا معك فى هذا، فقد تكون الاستقلالية هي الحياة نفسها وأعلم أن النساء اليوم بحاجة ماسة إلى رجال يفهمون لغتهم.

انتبهت لتراجعه قليلاً. وانكماش حماسه، فأرادت أن تطمئنه فقد وجدت المهندسة آية اللّه أنها أمام شخصية غريبة، بل نسيت كل تفاصيل حياته ولباقته فى الحديث معها، وأخذت تفكّر بما قاله، وانتبه هو للحظات بأن عليه أن يكون دقيقاً فى الحديث معها، فقال:

- أنا أريد الزواج منك وترددت فى الافصاح عن هذا خشية الرفض؟ ألا ترغبين فى العيش معي فى حياة زوجية هادئة؟

كانت آية اللّه منبهرةً بكلامه أشد الانبهار. شعر بدفق الفرح فى عقلها وروحها وقلبها، فقالت بحماس واضح:

- بلي. ان ما أسمعه منك غير معقول. أنا لا أصدق أنني أمام رجل من هذا الزمان!

ابتسم لها ثم فجأة ارتسمت علامات الحزن على وجهه:

- أنا رجل من هذا الزمان، أو من أي زمان.

- ومن أي زمان أنت؟

ابتسم لها وقال:

- يبدو لي أنك لا تؤمني بوجود أي رجل عاقل فى هذا الزمان.

فارتبكت وقالت بما يشبه الاعتذار.

- أردت أن أعبر عن إعجابي الكبير بك وبطريقة تفكيرك. هل تصدقني إذا قولت لك بأنني كنت لا أفكر فى الزواج مرة ثانية!

ابتسم المهندس عوني. وشعر بالتميز. وقال بمرح:

- وأنت عليك الحذر من رجال الجحيم، ولا تنظري إليّ باعتباري رجل غريب. اتفقنا.

فقال مرددةً باستسلام:

- اتفقنا.

كانت المهندسة آية الله تريد أن تنهي هذا الحوار وأن تذهب الي عملها. لذا أرادت أن تدير دفة الحديث نحو ذهابها، وقامت فجأة وقالت بمرح وحيوية:

- سأمر عليك بعد قليل.

وخرجت. ظل المهندس عوني مصدوماً. لم يستطع استيعاب ما جرى خلال لحظات، وظل جالساً مذهولاً من حديثها معه.

******

ومرت الأيام وفي مطعم مميز يعرفه عوني. جاء النادل بما طلبوا من مشروبات ووضعها على الطاولة وانصرف. هي تعرف أنه بانتظار أن يفهم شخصيتها فهذا هو السبب الظاهر الذي على

الأقل اجتمعوا من أجله، أخذ رشفة من القهوة بينما ظلت هي صامتةً ومتأملةً المكان وينظر الي وجهها ومنتظراً عما ستكشفه له هذه الجلسة من عالمها وأحلامها وطريقة رؤيتها للعالم، كانت هي مرتبكة، فقالت والكلمات تكاد نختنق فى حنجرتها.

- بالمناسبة، لقد فتشت عليك اليوم فى الشركة وفي كل الأقسام فلم أجدك.

- نعم. لقد خرجت اليوم لإتمام عمل مع شركة الجزيرة فهي من أهم الشركات التنفيذية العملاقة لمشاريعنا.

- هل كنت تريدين أن تتحدثي معي وتعرفي عني أكثر؟ اسألي وسأجيبك. لا تتردد أن تسألي عن كل ما يدور فى ذهنك. وأنا أعرف ما يدور فى ذهنك.

فقالت باستغراب إذ وجدت فى كلامه شيئاً من الغرابة.

- تعرف ما يدور فى ذهني؟ كيف؟ ماذا يدور فى ذهني يا بشمهندس؟

- نظر فى عينيها مباشرة وقال بثقة:

- إنك مليئة بالأسئلة التي تخص وضعي العائلي، مثلاً تريدين معرفة من هي زوجتي الأولي، وكيف تزوجتها؟ وهل هو أصغر منك أو لا؟ وهل لدينا أطفال؟ وهل أنا مرتاح مع زوجتي أو أن هناك مشاكل بيننا.

ثم حدقت إلية وجهها مقربةً وجهها إلى الأمام. نحوه مباشرة وكأنها تريد تأمله ومعرفة شخص مجهول:

- من أنت؟

نظر إليها محدقاً وكأنه يقرأ ما يدور فى نفسها من مخاوف:

أنا عوني. وأنا كما أنا أمامك واضح كرجل.

- وغامض أحياناً.

- ربما.

مرت لحظات من الصمت، ثم قالت له وكأنها تستسلم أمامه:

- لنفترض أن كل ما قلته صحيح، وأن هذه الأسئلة تدور فى ذهني، فما هي إجابتك عليها؟

- ابتسم لها وقال بمرح:

- هل أنت متشوقة لسماع الأجوبة؟

- نعم.

- جميعها؟

- نعم جميعها.

انتبه لنبرتها المتحدية باستسلام وقال بمودة:

- أي سؤال من بينها تودين أن تسمعي إجابته أولاً؟

لم تجبه. ظل صامتةً. نظر إليها بتفحص وقال مبتسماً:

- تريدي أن تسمعي إجابتي عن السؤال الأخير قبل بقية الأسئلة التي هي أيضا مهمة بالنسبة لكي، لكن الإجابة عن سؤالك حول زواجنا هو الذي يهمك. أليس كذلك؟

فقالت باستسلام كامل:

- نعم. أريد أن أعرف ذلك.

- وأنا أريد أن أعرف ايضاً هل هناك ما يمنع زواجنا؟

- لا. ان ابي لا يرفض لي طلباً وسوف يتفهم موقفنا.

صمت لفترة قصيرة، لكنه كان بالنسبة إليه وكأنها اللحظات التي تسبق مسير حياته وكأنها حياة أو موت، شعر بعرق بارد يغطي جبينه، نظرت إليه واكتسى وجهها مسحة من الحزن، وقالت بهدوء، وجدية، بعيداً عن أسلوب الدلال الذي كانت تمارسه من قبل. امتد الصمت الذي بينهما نظر إليها وكأنه غير مصدق ما نطقت به، فطلب منها بارتباك أن تعيد ما قالته:

- أرجوك. هل يمكنني أن اسمع مرة ثانية ما قلته الآن؟

فقالت بهدوء شديد وهي تنظر فى عينيه:

- يمكن لزواجنا أن يتم، بل وبسرعة ان أردت وسوف يتفهم ابي كل شيء. هل تفهمني؟ أبي هو صديقي، وعلمني أن أكون واضحة مع نفسي ومع الأشياء والآخرين، علمني أن أكون صريحة مع نفسي، ومع أفكاري ورغباتي، وأن أتحمل مسؤولية أي تصرف أو خطوة أخطوها أو قرار أتخذه. لكن وانا الآن محطمة ووحيدة، وأحتاج إلى من أشعر بالأمان معه ليكون منبعا للقوة بالاستمرار فى الحياة، وإلا فأنني سأنتهي.

- أفهمك. لكني لا أفهمك أيضاً.

- سأجيبك على أسئلتك الأخرى بمرور الوقت. أم أنك فى عجلة من أمرك؟

كان مرتبكاً وفرحاً فى الوقت نفسه لإجابتها الواضحة والحازمة، فقال:

- لا. لا. أنا الآن مرتاح. كل الأجوبة الأخرى يمكن أن تُؤجل.

نظرت إليه وقالت مبتسمةً:

- لا تفكر فى شيء فسوف اساعدك فى كل شيء، بل كل شيء.

قالت ذلك ثم قامت فجأة وكأنها أرادت ألا تتحدث معه عن شيء آخر، ثم التفتت إليه وقالت:

- سوف أراك غداً بالشركة.

خرجت آية اللّه بينما ظل هو جالساً لم يصدق أن هذا الزواج قد لا يكلفه شيئاً. لم يستطع استيعاب ما جرى خلال حديثة معها لهذه اللحظات. وجاءه النادل وقام من مكانه ليلحق بها، لكنه لم يجدها! ركض فى الممر الخارجي للمطعم ليلحق بها. وحينما صار خارج المطعم لمحها وهي تصعد سيارة أجرة يقودها سائق مسن وتجلس هي فى المقعد الخلفي.

******

## الفصل السادس
# الشـــيخ والمنتقـــبة

مرت أيام عصيبة على الدكتورة هند لأن زوجها عوني قد تغير معها كثيراً، ولم يأتي كالأيام السابقة فى موعده الي البيت. شعرت بأن فقدها لحالتها النفسية هذه سبب لتهوره واندفاعه فى الحديث معها! ولكن هذا الرجل ليس رجل عادياً وإنما هو رجل استثنائي ومتمرد مخيف أحياناً. أحست وكأنها ممسوسة به، فهو شخصية لا تجدها إلى فى الروايات، إذ لم تري رجل فى حياتها يمتلك هذا الغموض وهذه الجرأة فى الحياة.

******

وفي شهر أكتوبر ٢٠١٣م. ذهبت الدكتورة هند فى زيارة لأختها وجدان وانشغلت معها بأمور جرت فى بيت زوجها الدكتور حسين، إذ مرضت أمه مرضاً خطيراً، فقد أصابتها حالة من الألم الذي لم تستطع مقاومته بأي من المسكّنات، فنُقلت إلى المستشفى، وبعد إجراء الفحوصات تبين وجد مياه على الرئة مما يستوجب إجراء عملية لها.

لاحظ حسين اهتمام زوجته وجدان واختها الدكتورة هند بأمه فأعجبه ذلك جداً وأحس أنهما قريبين منه وانهم حقاً من عائلة طيبة. على عكس الآخرين الذين لم يبدوا اي اهتمام بمرضها بل، ولم يزرها أحد إلى المستشفى قط. كانا يذهبان مع أمه إلى المستشفى، ويبقيان عند الأم فترةً طويلة ثم يرجعان معا. انتبت هند أيضاً لخصال أختها الإنسانية، فهي طيبة، ومسكينة، ولديها الآن من الأبناء منذر وتيم ولكنها فى عزلة نفسية، ويبدو

أنها عانت كثيراً خلال زواجها الأول، برغم أنها تحاول أن تنسى أنها كانت متزوجة من قبل وان حسين زوجها الثاني. فقد كانت تحاول أن تبعد عن تفكيرها تجاربها السيئة فى حياتها الزوجية السابقة، وتعود هند أحياناً لتسأل نفسها: ما هو ذنبها؟ لقد زوجها أخي إلى ابن عمي وهي صغيرة فى العمر، وطلّقوها أيضا وهي صغيرة فى العمر؟ أعرف بأن زوجها حسين يحبّها كثيراً، ويعطف عليها ويعتبرها ضحية الزواج السابق، لذا سعي ليتزوجها، وكانت أمه أيضاً على الرغم من أنها لم تتعلم سوى إلى مرحلة الابتدائية، امرأة ذكية بل وحكيمة، لكن ليست حكمة الكتب وإنما حكمة الحياة، وكان حسين يثق بأمه ثقة عمياء، وحين فاتحها بأنه يريد أن يتزوج وجدان، وأنه وجد المرأة الصالحة له، لم تفكر امه طويلاً، ولم تعترض على الرغم من أنها مطلقة. ولم يفكر هو أن أحد قد يستغرب من تعقيدات وتناقضات تفكيره الشخصي فى أنه تزوج من مطلقة. وواجه كل من يقول له: كيف وأنت طبيب ناجح تفكر بهذه الطريقة؟ فكان يقول ما ذنب المطلقات فى مجتمعاتنا؟ بل من يضمن أن غير المطلقة هي الأفضل دائما؟ ألم يتزوج النبي عليه الصلاة والسلام نساء مطلقات، فكيف لي وأنا انسان عادي، وحتى لو كنت طبيباً، أن أحتج بهذه الطريقة؟

يتذكّر الدكتور حسين الآن، أنه حين ساق لأمه حجّته بزواج النبي من المطلقات، خجلت من ضعف موقفها وتخاذلها

الاجتماعي! فهي عادة الأمهات أنهن لا يرغبن تزويج أبنائهم من نساء مطلقات، وقد وافقت أمه، فهل أمه تختلف عن بقية النساء، أنه يدافع عن فتاة مطلقة، بل هو من أراد وسعى للزواج منها! لقد أكد لأمه بأنها الآن مريضة وكذلك أبوه، وهما يحتاجان للعناية، وأن وجدان فتاة أخرى تقبل بسهولة أن تكون معاونة لهما؟ إذ ربما تسعى الفتاة الباكر لتكوين بيت خاص لها وتعتزلهما معه؟ بينما وجدان فتاة مسكينة، ليس لديها مكان آخر غير بيت أخيها الذي تعاني ما تعاني فيه، وبالتالي ستكون شاكرة لهما أن تعيش معهما كزوجة لابنهما الوسيم والطبيب. صحيح أنه أكبر منها بحوالي خمسة عشر عاماً، إلا أنه يفيض بالحيوية والرجولة.

وبعد أيام ذهبت الأم لتخطب وجدان من أخيها الكبير عزام، وتمت الموافقة بسهولة، وكأنما لم يصدق الأخ الكبير كيف تخلّص من أخته! وهكذا تم الزواج بسرعة ودونما ضجة كبيرة بسبب مرض الوالدين وضعفهما، ولامبالاة من الدكتور حسين بالتقاليد الاجتماعية، ولكون عائلته المكونة من أمه وأبيه تبدو وكأنها شجرة بلا جذور، فهو ليس لديه أقارب، ولم يعرف يوماً أن له أقارب سوى إشارة إلى قريب لأبيه الذي يسكن بالإسكندرية.

حياة وجدان مع زوجها الدكتور حسين عادية، هي فتاة جميلة، وطيبة، وطيعة وبريئة، ولا تفهم شيئا فى أمور الحياة برغم أنها فى الثلاثينات من عمرها، وها هي الآن تكشف عن معدنها

الطيب بالعناية والقلق الحقيقي على صحة أم حسين وكأنها أمها هي وليست أمه.

******

مرت أيام وغادرت هند القاهر وعادت الي بيتها بالإسكندرية، وفي مساء يوم ما حينما كانت ممددة فى غرفة نومها، ظلت تلتفت يميناً ويساراً يكاد قلبها يتوقف من الخوف، كانت حينها لا تري شيء سوي ضوء خافت منبثق من خارج النافذة الزجاجية وضعت يدها على صدرها وهمست فى نفسها: هل بإمكان الإنس الاتصال بالجن؟ أسئلة تدور فى ذهنها ولم تجد لها اجابةً، وفي اليوم التالي وبعد غروب الشمس خرجت من شقتها صاعدةً الي الشيخ وزوجته المنتقبة، قرعت الباب وفتح الشيخ لها الباب وبعد السلام والترحيب، جلست وجاءتها السيدة المنتقبة، الشيخ قليل الكلام وقور، السيدة مخلصة للشيخ ألقت عليه التحية ثم غادرت الي غرفتها.

صمتت هند للحظة ثم قالت للشيخ:

- هل بإمكان الانسان الاتصال بالجن؟

- نعم ممكن.

- كيف يتم ذلك؟

- الأمر ممكن بأذن اللّه تحب أن تري؟

- أري ماذا؟ هل لك علاقة جيدة بالروحانيات.

ابتسم لها الشيخ، وقال ببراءة وبمودة:

- نعم. وأحاول إحضاره الي مجلسنا هذا ونري ماذا يريد منك؟

ارتسمت ملامح الرعب والخوف على وجهها ، وقالت متسائلة:

- كيف تفعل هذا؟

حدق للحظات فى وجهها الجميل وأحس أنها قريبةً منهم ومعروفةً لديهم وأنها برغم ثقافتها الواسعة قد لا تستوعب فحفظ هذا لنفسه، وقال لها شارحاً:

- أنت تعرفين أنني لست دجالاً ولا مشعوذاً ، ولكن الموضوع بدأ معي بالصدفة ، كنت أعيش مع قبيلتي فى أمان، فأنا كنت شيخ وامام لأكبر مسجد فى بلدي. ولم أكن يوما على اتصال بهم. لكنني بعد ما تحصلت علي العلم الكافي لاستخراج بعض الذهب وبعض الأشياء الأخرى بمحض الصدفة فى وقت ما من بيتي القديم. انتبه لي بعض جيراني وطلبوا مني أن ابحث لهم فى بيوتهم لأنه من الممكن أن أجد بعض الذهب أيضاً ، وقد قال عني الجيران بأنني أحمل خدامين وأعوان عليا من الجن، مما جعلني انتبه لهذا الأمر وقال لي البعض الآخر أنني قد أكون ملاحقاً من قبل الجن الأسود ، أو أني لا أستطيع العودة إلى بيتي لأنه قد أُكتشف سري، وقد تكون حياتي فى خطر، وقال لي إن أسهل طريق للحفاظ على حياتي هو الانتقال والسكنة فى بلد آخر من أجل ضمان حياتي. لكنني خلال السنوات التي أعقبت هذا ، تعرفت على الكثير من الأصدقاء، من مختلف الجهات والجنسيات وتعرفت على ثقافات مختلفة. هل تتصورين، كان

هناك الكثيرين من الأصدقاء غير المسلمين ومن الشيوعيين ومن الأكراد. هؤلاء الذين كنا سابقاً نخاف أن نذكر اسمهم، اليوم أنا صديقهم ولكننا اتفقنا على رفع شعارات ضد مملكة الجان. هل تدرين يا دكتورة هند أن ما ذكرته لك لا يشكل إلا قطرة من بحر قياساً للذي شاهدته خلال مراحل حياتي. لن تتصوري أين كنا نعيش؟ ماذا كنا نأكل؟ أين كنا نعمل من قبل؟ والآن نتمتع بالعيش فى رفاهية عالية وتمتلك قبيلتي الثروات من القصور والسيارات الفارهة.

صمتت هند قليلاً للحظات وفكرت مع نفسها بأن الشيخ هذا يبدو، من ملامح وجهه، مسالماً ولا يحمل شراً ومن الممكن أن يفهمها، فلتري ماذا يفعل لها، لذا طلبت منه ان يفعل، وقالت:

- أنا اشعر به حقاً ولكنه لم يأتي لي الا قليلاً بعد زواجي.

صمتت للحظة ثم واصلت كلامها بإصرار منها:

- أحب أن أراه. بل وأريد ان أرتاح من هذا ولكن كيف؟

نادي الشيخ بأعلى صوته على زوجته.

- يا ميمونة!

حضرت زوجته ميمونة مسرعةً..

- نعم مولانا..

- الدكتورة هند تريد أن تُخرج من يمسسها من الأعوان فهي تشعر به.

أجابت السيدة ميمونه قائلةً:

- نعمل لها كشف الآن يا مولانا أولاً وإذا كان لها عون من الجن تراه بل وتحدثه.

- أحضري لي اذن المجمر وما خرج من الغنم وما خرج من الحوت وما خرج من الظبي.

- حاضر مولانا لحظة.

وانطلقت زوجته ميمونة مهرولةً لإحضار طلبات الشيخ.

انبهرت هند فى صمت ثم سألت الشيخ بجرأة وقالت:

- يا شيخنا اسمح لي فضولي ولكن ما معنى ما خرج من الغنم وما خرج من الحوت وما خرج من الظبي؟

نظر إليها بإعجاب. وقال لها بعد لحظات من الصمت ونبرة حادة:

- روثهم، لاستخدامه كفحم وعنبر ومسك.

دخلت ميمونة وهي تحمل الأغراض، قال لها الشيخ مبتسماً:

- اقتربي يا هند ولا تخافي.

وكتب على كفها بعض الأسماء ووضع كأساً به ماء عليه قطرات من الزيت الأسود. وقال لميمونة:

- ابدأ بالتبخير.

وأمر هند بوضع الكأس على الكف المكتوبة والتركيز على نقط الزيت الموجودة بالكأس، ثم بدأ بقراءة أقسامه وعزائمه حينها.

صاحت هند مرتبكةً خائفةً، وقالت:

- يا شيخ النقط صارت كبيرة، انها أكبر من الكأس، بل أكبر من قرص خبز كبير.

نظر إليها وعلى وجهها ارتسم خوف حقيقي وقالت:

- ماذا تفعل يا شيخ؟ ان كلامك يخوفني؟ هل فى ذلك خطر علي؟

غمر الشيخ فرحةً داخلية حينما لمح الخوف عليها فى نبرة صوتها وملامح وجهها، ثم تابع الشيخ القراءة وهند تصف للشيخ ما تراه ثم انتفضت، وقالت:

- انى ارى نقطتين صغيرتين بالدائرة. لا بل ارى وجه رجل. لا. لا بل ارى رجل كاملاً. انه يشير لي بكفه. انه ينحني كأنه يحيني بل أنى اسمع فى اذني كأن أحد يقول لي شيئاً لا أفهمه أوقف الشيخ القراءة.

ثم نادى بأعلى صوته: ميمونة!!

أجابت الشيخ مطيعةً وطلب منها أن تحمل بعض الأشياء، أريد أن أحضره مباشر.

- أنها ليست روحانية، قد لا تتحمل الآن.

رفعت ميمونة كتفيها، وقالت للشيخ:

- اذنً شيخنا أريد أحد الخدام القط والأفعى.

فقالت هند بهدوء ممزوج بالخوف:

- القط والأفعى! يا ميمونة انا أريد أن اتحدث معه!

صاح الشيخ وقال لميمونة آمراً.

- اغلقي الأبواب وأطفئي الأنوار واحضري لي شمعه الحكمة.

أجابته ميمونة مسرعةً وقالت:

- أمرك مولانا.

وهرولت ميمونة مسرعةً لتلبيه طلب الشيخ وهند تنتظر ولا تعلم انها سوف تدخل بوابة العالم الثاني من أوسع الأبواب! حضرت ميمونة وبيدها شمعه مصنوعة من عسل النحل ومكتوبة عليها بطلاسم غريبة، ثم قال لها الشيخ:

- أشعلي الشمعة واخرجي واغلقي الباب خلفك!

لبت ميمونة طلب الشيخ مسرعةً وأشعلت الشمعة وخرجت.

- أنا أخاف.

شعر الشيخ بقربها منهم، ووجد نفسه يتحدث معها بتلقائية، وقال لها:

- لا تخافي. أنا معك.

- لقد شعرت بالخجل من نفسي.

- أنت؟ ولماذا لا سمح الله تشعرين بالخجل؟ ماذا فعلت حتى تشعرين بذلك؟

ابتسم لها الشيخ بمودة وقرأ فى سره لمدة خمس دقائق وقال:

- اكشفوا الحجب بينكم وبين هند بنت فريدة الآن!

فظهر لها رجل طويل القامة أسود اللون ذو شعر طويل ولباس غريب، فقدت هند صوابها خوفاً وبدأت بالارتعاد والارتعاش

وتصببت عرقاً وقفزت بدون وعي خلف الشيخ خائفةً وقد أغشي عليها من هول ما رأت.

صمت الشيخ لحظة، وشرد ذهنه، ثم التفت إليها وقال وهو يحق فى وجهها:

- انصرف ايها الجني بحق ما جئت له طائعاً فاختفى العون وكأنه السراب وكالرياح تدور.

******

ما أن مرت دقائق وقد عاد عوني إلى البيت، كانت الساعة العاشرة والنصف مساءاً وحينما عاد وجد زوجته هند مستلقيةً فى صالة الشقة مغشي عليها، نهض مسرعاً لإيقاظها عندما افاقت، أخبرته مباشرة بأنها انتكست صحياً مرة أخرى، وأنها تتألم، وقد أخذت بعض المسكنات ونامت هكذا ولم تقل له بأنها صعدت الي الشيخ وزوجته. صُدم هو عند سماع ذلك وانتابه شعور بالذنب إزائها، فبينما هي تنهار صحياً وتتعذب كان هو يعيش مغامرة عاطفية محفوفة بالمخاطر مع المرأة الجديدة، وهو يعرف ذلك، لكن رغبته تشل عقله وتخرس منطقه أحيانا.

في صباح اليوم التالي فتح الباب على زوجته فى غرفتها فوجدها راقدة فى نوم عميق، فأغلق الباب بهدوء ودخل غرفة الاستقبال، وحينما عاد اليها ودخل غرفتها مرة أخري ليطمئن عليها، قالت له إنها تريد أن تكون وحدها، وحينما سألها إن كانت تحتاج لشيء فأخبرته أنها لا تحتاج لأي شيء، سوى أن يتركها وحدها.

******

في اليوم التالي ذهب المهندس عوني الي مكتبة بالشركة، وقبل أن يخرج من مكتبه متجه الي الطابق الثاني لمكتب رئيس مجلس إدارة الشركة غانم بيه، دخلت علية المهندسة آية اللّه أغا. كانت فى فستان أسود واسع الذراعين ويمتد إلى أسفل القدمين ولا يكشف عن شيء من جسدها، لكنها كانت بلا زينة واضحة، وكانت هالتان سوداوان تحيطان بعينيها، من أثر السهر كما يبدو، وكانت تبدو متعبة ومنهكة جدا.

ارتبك عوني عند رؤيتها. نهض من مكانه، متوجها إليها، وأراد مصافحتها لكنها مدت إليه يدها على امتدادها بعيد بالمصافحة. أحس بأن التي تقف أمامه ليست هي نفسها التي كانت تتحدث معه من قبل.

حين جلست ظلت صامتة للحظات كما ظل هو صامتاً لا يريد أن يقتحم سكونها بالكلام، لكنها بعد فترة ليست بالطويلة بدأت بالكلام وقالت:

- أنا أعتذر جداً عن انقطاعي المفاجئة عن العمل اعلم أنها كانت دونما أي إشارة مني، لكني كنتُ مضطرة لذلك، فقد توفيت أختي الأسبوع الماضي، وقد حطمّني هذا الحدث. لقد كانت سندي فى الحياة وصديقتي.

أخرجت منديلا حريرياً لتمسح دموعاً التي ترقرقت فى زوايا عينيها. تأثر لها عوني بهذا الخبر وحاول أن يشاركها حزنها فتمتم بكلمات تقليدية تُقال عادة فى مثل هذه المناسبات، وقال:

- البقاء فى حياتك، أشارككِ هذا المصاب الأليم، ولا أدري كيف أواسيك بهذا الفقدان الجلل.

- شكراً جزيلاً.

- لقد اتصلت كثيراً على تلفونك المحمول، ولم أكن أعرف شيئاً عن كل هذا، لقد افتقدتكِ كثيراً، وظننت أنك لن تعودي أبداً، لاسيما بعد آخر حديث جرى بيننا.

صمتت للحظات، ثم قالت:

- اعتذر لك على عدم اخبارك بهذا ولكن أنا أيضا افتقدتك. لقد مررت بلحظات شعرت بحاجة كبيرة إليك. بعد رحيل أختي أشعر بأنني بقيت وحيدةً فى هذا العالم. أبي وأمي كبرين بالعمر ويحتاجان للرعاية فأبي الآن مقعداً، ولا يتحرك إلا على كرسي والآن وقد رحلت أختي عن عالمنا، وليس لدي أي أشقاء آخرين.

مرت لحظات صمت ثقيلة بينهما. لكنه تجرأ، وقال:

- أنا موجود، وستجديني دائماً إلى جانبك.

تألق وجهها وقالت بمودة:

- شكرا جزيلا. هذا من لطفك.

- أنا أقصد ما أقول.

- شكراً جزيلاً.

امتد الصمت بينهما ثانية، فقالت وكأنها تود أن تحسم أمراً:

- هل ما زلت تريد أن تتزوجني؟

فقال بطريقة لا إرادية.

- نعم. بالتأكيد.

- إذاً علينا أن نتواصل الأيام المقبلة بعد انتهاء عملنا لنعد بيت الزوجية.

- ولكن كيف سأراك ومتى؟

- لا يمكنك رؤيتي الآن إلا بالشركة وبعد أسبوعين أراء فى أي وقت.

ثم صمتت وعلى وجهها علامات التفكير، ثم قالت:

- أيام قليلة وسوف نتزوج.

- هذا جيد. ولكني... ولكني....

فقاطعته هي قائلةً:

- إذا كان السبب مادياً فأنا مستعدة لأن أدفع إيجار الشقة والإنفاق عليها، المهم أن تستأجرها. قد أبدو وكأني أتصرف بغرابة وتهور أو أبدو وكأني امرأة مستهترة لا تقيم وزناً للعادات والتقاليد الاجتماعية، فكيف لي أن أتحدث عن زواجنا الآن واختي قد توفيت الأسبوع الماضي، وكيف بامرأة مطلقة مثلي تريدك أن تستأجر شقة لنتزوج فيها، وتدفع هي إيجار الشقة؟ وقد تقول فى نفسك: امرأة مثل هذه ربما لا توجد إلا فى الروايات أو فى المجتمعات المتحررة وليس فى مثل مجتمعاتنا العربية المغلقة. أليس كذلك؟

فقال باستسلام وكأنه يؤيد كل ما قالته أو هكذا راودته انطباعات عنها:

- هذا صحيح، فأنت امرأة غريبة، ومن ينظر إلى تصرفاتك وكل ما تفعليه معي حتى الآن، لابد أن تتوقعي أن يكون له انطباع مختلف عندك.

- أعرف ذلك، لكنك لا تعرفني جيداً.

- ربما.

- بل أكيد، فأنت تنظر إليّ، كامرأة جميلة تستحق المغامرة والعناء.

- هذا صحيح لحد ما. لا أنكر.

- بل أكيد أيضا.

صمت هو فلم يشأ أن يتحدث كي لا يوقعه كلامه فى مأزق. كانت هي تفكرّ بأشياء تدور فى أعماقها، وبعد لحظات قالت له:

- عوني. أبي علمني أن أكون واضحة مع نفسي ومع الآخرين، علمني أن أكون صريحة مع نفسي، ومع أفكاري، وأن أتحمل مسؤولية أي خطوة أخطوها أو قرار أتخذه. لكن وكما ترى الآن، أنا محطمة ووحيدة، وأحتاج إلى من أشعر بالأمان معه ليكون منبعا للقوة بالاستمرار فى الحياة، وإلا فأنني سأنتهي.

- وزوجك السابق، ألم تشعرين بالأمان معه من قبل ولو لمرة واحدة؟

ابتسمت بحزن، نظرت اليه للحظات وكأنها تدرس ملامحه ثم قالت:

- أنه كان انسان بعيد عن عالمي. لا أريد أن أشكو مثل بقية النساء لتبرر تصرفاتها السيئة معي، فهو رجل لديه أحلامه وطموحاته وكرس حياته لهذه الأحلام والطموحات، وأنا له ديكور مكمل لأثاث البيت.

امتد بينهما صمت قصير، ثم سألها:

- ولماذا تزوجك هو من قبل إذن.

- كان زميلي بالكلية ومن نفس مدينتي، تقدم لخطبتي وتزوجني. وبالمناسبة فهو رجل وسيم، وشخصية قوية، لكنه كان بالنسبة لي ليس زوجا.ً كنت لا أشعر بالأمان معه، حينما يكون معي فى يوم العطلة لا نجد ما نقوله بيننا سوى بعض الكلمات التافهة والعادية التي تتكرر كل مرة، ولا ينقذنا إلا زيارة أخته أو خالتي أو بعض الأقرباء الذين يتوافدون حينما يكون هو موجوداً فى يوم العطلة. على آية حال. أوجعّت رأسك بهذه التفاصيل السابقة عن طليقي. لكن أعتقد أنك كنت تحتاج لمعرفتها. أليس كذلك!

- صحيح جداً. فأنا لا أعرفك جيداً. فأنت بالنسبة لي حلم. أو المرأة التي تأتي بالحلم الذي يأتي ولا يأتي.

أعجبها تعبيره وتوصيفه لها. ابتسمت، ثم قالت:

سأكون موجودة دائماً معك. إذا كان هذا لا يضايقك طبعاً، ولا يخلخل نظام حياتك واستقرارها!

فقال مبتسماً:

- سأكون أسعد رجل فى العالم.

- إذنً اتفقنا على تأجير الشقة وتجهيزها وبأسرع وقت، وخذ شقة جيدة ونظيفة ولا تهتم للإيجار. اتفقنا.

- اتفقنا.

أجاب بتردد وخجل فلم يتوقع هو كل هذا الحوار المفصل عن حياتها الخاصة، وتسارع الأمور بينهما بهذا الشكل وإلى الحل فى أن يؤجر شقة الزوجية، وفسّر الأمر بأن حالتها النفسية التي تمر فيها ربما هي التي تدفعها إلى البحث عن ملجأ آمن يعوضها عن حنان زوجها السابق، وعن نظرات الأهل والمجتمع من حولها والأهم من هذا زوجها السابق الذي يبدو أنه كان رجلاً غبياً، وعليه ألا يفوت هو هذه الفرصة.

أثناء ذلك قامت هي واتجهت نحو الباب، ونهض هو، فرجته ألا يقوم من مكانه:

- أرجوك أبق فى مكانك. سوف أراك، سأكون فى الشركة كل يوم.

وخرجت دون أن تترك له فرصة للرد أو للقيام من كرسيه

******

حينما ذهب عوني إلى الشركة صباحاً، وأثناء ذهابه إلى الشركة اشترى بعض الصحف الواسعة الانتشار ليبحث فى صفحات الإعلانات عن شقة للإيجار، وهذا ما فعله بعد وصوله إلى الشركة، إذ توقف عند بعض الإعلانات عن شقق للإيجار،

فسجلّها على ورقة منفصلة، ثم خرج ليقوم بمعاينتها وتأجير المناسب منها! وفعلاً وجد شقة جيدة بغرفتين وصالة بل ومفروشة حديثاً، لكنها مرتفعة الإيجار نوعا ما، وفي منطقة بجوار الحضرة الجديدة التي تسكنها زوجته الأولي ايضاً. اتفق مع صاحب مكتب العقارات الذي كان هو الطرف المعلن بأن يتم ترميم بعض الأشياء الضرورية فى المطبخ الذي وعده صاحب المكتب بإنجاز هذه النواقص خلال أيام، ووعده بالعودة إليه فى الأسبوع المقبل.

******

فى مساء اليوم التالي حينما صعدت هند علي درج العمارة صاعدةً الي الطابق السادس حيث شقة الشيخ وزوجته المنتقبة، كان حارس العمارة وزوجته يقومان بتنظيف الدرج فوجدوا هند امام الشقة وقد سألها الحارس عما إذا كانت تريدي شيئاً من هذه الشقة. فأجابت:

- جئت للشيخ وزوجته.

نظر اليها متعجباً.

وقال لها:

- أي شيخ وزوجته!

- الشيخ وزوجته السيدة ميمونة!

- صحيح، كان يسكنا هنا منذ سنوات والشقة مغلقة من يوم مقتلهما.

- هذا ليس صحيح، لقد كنت فى زيارتهم بالأمس وجلستُ معهما.

نظر الزوجان لبعضهما غير مصدقين، فمن تتحدث لا يبدو عليها الجنون، بل لا يمكن الشك بكلامها، فهي شخصية مثقفة وأنيقة ولها بالحكمة والعقل الراجح.

- أنت متأكدة مما تقولين يا سيدتي ؟

- حسنا. يبدو أنكما لا تعرفان ما اقصد أو ان هناك شيئا ما.

- كل ما أعرفه عنهما فى الواقع أنهما كانا فى عزلة عن الناس...

فقاطعها الحارس...

- قلت لك لقد وجدت الشرطة أجسادهما ممزقة فى وسط الدماء وهذا منذ سنوات.

ارتسمت ملامح الدهشة والرعب على وجهها، وقالت متسائلة:

-ألم تلاحظا خروجهما ليلة أمس؟

يبدو أن الحارس وزوجته كانا فى حالة من الذهول لم يتمكنا معها من سماعها وأسئلتها المندفعة من فمها كالرشاش..

- للمرة الثانية أسألك يا دكتورة هند.. هل أنت متأكدة مما تقوليه؟

- وهل تظن يا سيدي بأن سني ومركزي الاجتماعي ، يسمح لي بالعبث معكما! واختلاق قصة كهذه.

همست فى نفسها: لم أعد أحتمل المزيد من المفاجآت، على الأقل لهذا اليوم، هل أنا كنت فى كابوس مخيف كهذا.

- إذا سمعت إجابة شافية، سأعود الى شقتي.

- للمرة الأخيرة أسألك يا دكتورة هند. هل أنت متأكدة مما تقوليه؟ قد يكون حلم أو كابوس.

ثم همست فى نفسها: هل هناك رعب أكثر مما أنا فيه؟ حتى لو كنت أحلم، فهو أسوأ كابوس داهمني فى حياتي. ثم قالت لهما:

- هل تظنا بأنه قد اصابني الجنون حتى أحكي لكما قصة عن شيخ وزوجته توفيا منذ سنوات؟ أقول لكما، جلست معهما. وكانت المرأة تلبس نقابها الأسود ويرتدي هو لباسه الأبيض.

جحظت عينا الحارس وزوجته قليلاً.. ثم عاد وجهه إلى اتزانه السابق. وفتح فمه ببطيء، محاولاً شرح شيء وفهم أشياء أخر.

- نعم هذا صحيح ، كانا يرتديان هذا الزي دائماً، ولكن متى كانت الأموات يلبسون ويجلسون يا دكتورة هند. بالله عليك، اعذريني فأنا لا أشك فى روايتك، ولكن نحن أيضا لسنا مجانين حتى نصدق بأن الشيخ وزوجته المتوفيان منذ سنوات، عادا الي حياتهما وجلسا معك فى البيت ليلة أمس، متى؟ وكيف؟

استفاقت الدكتورة هند المصدومة من هواجسها على صوت قرع قدم علي درج العمارة وصعود زوجها عوني. فنزلت مسرعةً كي تحكي له ما حدث.

******

حينما دخل عوني غرفته، كان المطر ينهمر بشدة على زجاج نافذة غرفته، دخلت اليه هند كي تحكي له ما حدث معها من كلام الحارس وزوجته، ولم يستطع هو أن يفسر لها ما قالت، لم

تعرف هند كيف مرت هذا الليلة عليها على الرغم من أنها متأكدة من ان ما يقوله الحارس وزوجته قد يحتمل الخطأ.

كانت ردة فعله لها والاستماع إليها تقليداً واجتماعياً، خاصة بعد ان تحولت حياتهما الي حد ما يشبه بالاضطرابات النفسية. كانت الشوارع تكاد تخلو من المارة، والبعض يتحلقون حول أقرب مظلة تصادفهم للاستضلال بها من المطر، وهي ظلت جالسة فى صالة الشقة وتتساءل وتخمن مع نفسها ما الذي قد يحدث لي اذنً بعد هذه الليلة الغريبة؟ لم يصبها الخوف والفزع كثيراً لأن الخوف لم يكن ينقصها أصلاً.

ذهبت الي فراشها وقد خرج عوني من الحمام ولحق بها للنوم وهي تهمس فى نفسها: كيف لي العيش هنا فى هذه البناية الغريبة، والموحشة، وخاصة فى أوقات الليل المتأخرة لذلك قالت لزوجها:

- لا يمكن ان تتأخر عني الآن ليلاً، فأنا أعيش فى جو مخيف.

هز رأسه واتسعت ابتسامته قليلاً ثم عبس وجهه بسرعة غريبة وقال لها:

- لا تخافي فليس هناك ما يخيف.

ولكن ما عرفته هي اليوم يجعل وجهها يعبس على الدوام.

******

# الفصل السابع
# وســـاوس وهلـــع

ترى فى منامها، بأن فتاة فى مقتبل العمر، تصرخ بطريقة هيسترية، محاولةَ إيقافها، لم تكن الفتاة بحاجة إلى هذا الإلحاح لتوقفها، وقفت مسرعةً لها. وانتابتها هاله وأرعبها منظر الفتاة، كانت فتاة طويلة يستر جسدها كاملاً غطاء قطني أبيض مائل للسمرة وممزقاً، الثوب مبلل بماء المطر، أكثر مما كان مخفياً، فتحت لها باب شقتها فدخلت الفتاة بسرعة جنونية. كانت تتكفأ وتنطوي على نفسها محاولة ستر نفسها، ذهبت هي لتحضر لها ملابس نظيفة، كانت ملابس الفتاة الموجودة على جسدها كعدمها، وما إن التقطت الفتاة المذعورة أنفاسها حتى بدأت سيل الأسئلة المحبوسة فى فمها ينهمر كسيل المطر المنهمر فى الخارج.

- ما قصتك يا بنتي ؟ وما الذي اتى بك الى هنا؟

- وما هذا الغطاء الذي ترتدينه والذي يشبه الكفن؟

- إنه فى الواقع غطاء سرير أبيض قديم، ومهترئ، حتى يخيل إليك أنه رمادي اللون بسب اتساخه. هذا ما وجدته أمامي لأستر نفسي به.

- أرجوك. أرجوك. سأروي لك كل شيء.

فزّت هند من النوم مرعوبةً وخائفةً. كان العرق قد بللها. أزاحت الغطاء وجلست على حافة السرير بصمت لفترة ليست بالقصيرة. وجلست تفكر فى نفسها وفي حياتها التي تذبل يوماً بعد يوم. نهضت بتثاقل وخرجت من غرفة النوم الي الحمام.

كان وضع زوجها عوني يزداد سوءاً، وكانت تطلب منه أحيانا أن يتحدث معها أو أن تزور أقاربها بالقاهرة، فهي الأخرى صارت لا تطاق، فهي الآن عصبيةً وحاده المزاج، وأحياناً ترفض تعاطي دوائها، وظل زوجها يبدي غضبه دونماً أي تعليق أو تفسير.

وفي صباح اليوم التالي نهضت هند مبكراً. ارتدت ثيابها الأنيق ومعطفها الطويل الأسود، إذ أنها منذ مجيئها الي الإسكندرية لم تكن تحب الخروج إلّا حينما تخرج إلى أحد المجمعات التجارية للتسوق، فقد صارت ترتاد لباسها للخروج مرة فى الأسبوع. وفي الشارع أوقفت سيارة أجرة وتوجهت إلى مجمع الحضرة حيث المحلات التجارية المتنوعة والسوق الكبير الذي لم تدخله الا يوم واحداً خلال الأسبوع. وفي عودتها الي بيتها، وعندما دخلت منطقة الحضرة، أحست أن شيئا غير طبيعي يجري. ثمة سيارة إسعاف وسيارات النجدة التابعة للشرطة. طلبت من السائق أن يسير بهدوء وسط هذا الزحام، وحين صارت السيارة على مقربة من البناية سمعت صاحب مكتب بيع السيارات الذي بجوار البناية يروي بارتباك لضابط من الشرطة ورجل مدني معه وآخرين تجمعوا حولهم فى حلقة دائرية، كل ما يعرفه عنهما. طلبت هي من السائق أن يتوقف هنا أمام البناية، دلفت إلى شارع فرعي حتى أوقفت السيارة بجوار البناية ونزلت منها بعد أن نقدت السائق الأجرة، كانت تحمل بيدها أكياساً من النايلون بها أغراض التسوق، مشيت سريعاً متجهةً إلى البناية.

- كنت أسجل عقد بيع سيارة فى مكتبي لأحد الزبائن، وكان الحارس حينها ينظف لي السيارة بالخارج، وكانت زوجته فى مسكنهما واعتقد أن الحارس كان يجلس هنا دائماً عدة

مرات فى اليوم وفي وقت محدد تبقى زوجته لساعة أو أكثر وتخرج أحياناً الي التسوق. هذا ما أعرفه عن الحارس وزوجته أيضا، وجاء الحارس مرة بالأمس، بدلاً من زوجته التي كانت تأتي لمساعدتنا أحياناً فهي عادة تأتي للمساعدة بشراء بعد الأغراض من البقالة، ولكن صدفة لم تأت ذلك اليوم، وأعتقد أنها تذهب لمساعدة ساكني البناية، وأنها ايضاً قد تصعد الي سطح البناية، وخرج زوجها أمس ثم عاد بعد حوالي ساعتين وصعد وخرج أيضا، بينما هي لم تخرج. إلى أن طرقت الباب، فوجدتهما فى مسكنهما وهما غارقان فى دماءهما وقد زهقت أرواحهما فطلبت على الفور الشرطة ونحن فى حالة ذهول فمن يجرؤ على فعل هذه الجريمة فى جيراننا الطيبين المساكين واللذان يشعان حب وحنانا وخيراً على كل من فى المنطقة.

بقيَت هند لأيام تعيش قصصاً وتخيلات مرعبة. كيف قتل الحارس وزوجته؟ لماذا قُتلا؟ ربما أراد أحد سرقتهما ولكن سرقت ماذا؟ هما لا يمتلكان شيء! وإذا ما كان الأمر كذلك فربما بسبب ثأر قديم له أو تشاجره مع أحد أصدقاءه؟ لكن صاحب مكتب بيع السيارات لا يعرف شيئاً كل ما حكي عنه انهما غارقان فى دمائهما والأعجب انه قال كان الباب مغلقاً من الداخل أول الأمر لذلك اضطر هو لكسر الباب والأمر هذا حير رجال الشرطة كثيراً لذلك سُجلت ضد مجهول.

بعد انتهاء مراسيم دفن الحارس وزوجته غرقت الدكتورة هند فى حزن عميق. لم يستطع زوجها أن يخفف عنها ما يحدث لها من تتابع الأحداث. لم تتكلم إلا نادراً، مكتفيةً بإلقاء التحية، بل

وصارت علاقتها مع زوجها أكثر جفاءً، وكأنها تحمله وزر كل ما يحدث لها! وكان أكثر ما يؤلمها أنها لم تتحدث معه فى الفترة لأخيرة إلا نادراً، فدائما كانت نائمة حينما يأتي أو حينما يهم بالخروج تكون قد أخذت الدواء ونامت!

******

قد انتظمت المهندسة آية اللّه فى مواعيد عملها، وفي اليوم المحدد جاءت إلى مكتب المهندس عوني كما وعدته! وبرغم كونها ما زالت فى ثياب الحداد لوفاة أختها، إلا أنها كانت أكثر أناقة من المرة السابقة. ذهبا معا لرؤية الشقة. وصلا بسيارة أجرة. فسيارته قد تعطلت. لذا كان يتنقلا بسيارات الأجرة بسهولة، وحينما وصلا إلى مكتب العقارات! نزلا من سيارة الأجرة، وحينما دخلا إلى مكتب العقارات، فقام صاحب العقار مرحباً وكأنه يعرفهما منذ زمن.

- قائلاً: أهلاً. وسهلاً يا أستاذ. أهلاً مدام.

وذهبا لمعاينة الشقة بنفسهما، وأعجبتهما، فقد اتفقت معه على كل التفاصيل، وقد تكرمت هي فأعطت إيجاراً لسنة مقدماً، ووقعت العقد باسمها، وطلب من صاحب مكتب العقار بإصلاح كل النواقص التي اتفقنا عليها من قبل.

بعد أن بارك صاحب المكتب لهما متمنياً إقامة طيبة، سألهما ان كان لديهما أطفال، فنظر هو إلى زوجته آية اللّه وقال: لا. فعلّق صاحب المكتب بأنهما ما يزالان فى عزّ شبابهما، وعليهما الاستمتاع بالحياة أولاً، ثم أعطى نسخة من العقد للمهندس عوني ونسختين منفصلتين من المفتاح الرئيسي للشقة.

خلال حديث صاحب المكتب نهضت المهندسة آية الله، وما أن استلم نسخة من العقد ومفاتيح الشقة حتى قالت له أعطني العقد ونسخة من المفتاح كي أذهب أنا لشراء بعض الأشياء الضرورية للشقة، بينما تذهب أنت إلى الشركة، فناولها نسخة من المفتاح والعقد دون أن يقرأ ما فيه، فقد ولدت رغبة فى نفسه لحظة استلامه للعقد بأن يقرأ ه. مستغرباً من سرعة البداهة وقوة الارتجال لديها. وما أن أعطاها نسخة من العقد والمفتاح حتى خرجت، بينما ظل هو لدقائق بعدها وهو يتبادل التحية مودعاً صاحب المكتب.

******

بعدما أن غادر المهندس عوني مكتب العقارات توجه إلى مكتبه فى الشركة، ومرت ساعة وحينما دخلت هي الرواق وجدته واقفاً وكأنه فى انتظارها، فتح الباب ودخل هو ثم لحظة والحقت به داخلةً، وكالمعتاد جلس هو على مقعده خلف الطاولة وهي على كرسيها أمامه. ارتبك المهندس عوني ولم يعرف كيف يبدأ، أحس بالخجل لأنها دفعت الإيجار لسنة مقدماً، فقال:

- ما كان يجب أن تدفعي الإيجار وتوقعي العقد.

- ألم نتفق بأنني سأساعدك فى النفقات.

- صحيح ولكن...

فقاطعته آية الله قائلةً:

- إذن، ما المشكلة، ادفع أنت بعد ذلك. بالمناسبة الشقة جيدة ونظيفة والأثاث لا بأس به، لكنه يحتاج لبعض المؤن والمواد

الغذائية التي يجب أن تتواجد بالمطبخ، سأشتريها أنا، لدي مفتاحي. عموماً، وفي الأسبوع القادم وبعد عقد القران، سوف استقر بها، وانا سأنتظرك هناك فى كل يوم مساءاً، لديك مفتاحك. وإذا ما طرأ أي شيء عارض يمنع مجيئك لابد أن تخبرني من قبل. اتفقنا.

- اتفقنا.

******

وفي ذات اليوم. رجع عوني إلى بيت زوجته الأولي هند. وحين دخل الشارع الذي به بنايته فى تلك الظهيرة، حيث وجد الكثير من الرجال والنساء أمام باب البناية، فتوقع حدثاً جللاً قد وقع، وخمن بأن شيئاً ما وقع لزوجته هند، وصدق ما توقعه، فقد كانت زوجته أغشي عليها بسبب الإرهاق والتعب الشديد. ربما يكون من الصعب وصف الحالة التي كان فيها عندما سمع بتعب زوجته هند، فقد انهار وأخذ يبكي، حتى استغرب الكثير من الجيران من الحالة التي هو فيها، فقد كانوا يهابونه وينظرون إليه نظرات اندهاش فهم يرونه رجل قوي ومهندس ناجح ويتمتع بمكانة خاصة بينهم، ولم يكن استغرابهم هذا سلبياً بل زاد من إعجابهم به فلم يتوقعوا أنه سيكشف عن عواطفه وضعفه أمامهم بهذه الطريقة.

******

وبعد مرور أسبوعين عندما عاد المهندس عوني الي بيته دخل حاملاً باقة جميلة ومتميزة من الورود المختلفة الألوان والمحاطة

بالخضرة، والمغلفة بالورق الشفاف على قاعدة تتألف من سلة صغيرة، تعجبت هند وكانت هي تفكر بأمر هذه الباقة من الورد. وأخذت تسأل نفسها: لأول مرة يشتري لي عوني ورداً أو يهديني مثله لقد مر على زواجنا عامين ولم يشتري لي ورداً من قبل من المؤكد ان ثمة شيء خفي! من المؤكد أن ثمة سراً يخفيه؟ وإلا ما هذا التبدل الذي طرأ عليه منذ عودتي من زيارة أختي بالقاهرة؟ لقد كان يعبث فى وجهي مؤخراً كل يوم تقريباً سواء حدث شيئاً أو لم يحدث. فما الذي جرى؟

حينما دخل وهو يحمل باقة الورد سعدت ولكنها، ابتسمت له ابتسامة باهتة وخفيفة، فانتبهت لما هي فيه. أحس هو بالخيبة، مرت الأحداث أمامها فتذكرت المرة الأولى التي هجم عليها بالضرب يوماً ما فقد ضربها بعنف وقوة حيث بالكاد خلصت نفسها من بين يديه، بينما الآن يحمل لها ورداً من باب رفع العتب وكأنه لم يحدث شيئاً.

على الرغم من سعادتها الا انها فجأة أحست بالغضب الداخلي يتصاعد فى أعماقها، وصرخت بصمت: لا أيها المهندس عوني، أنا أعرفك جيداً، أنا التي دفنت كل مخاوفي منك أحياناً بداخلي. أنا التي كنت أحبك، وكنت أنت مهووساً بي من قبل، أنا التي كنت تردد أنني أجمل أمرأه شاهدتها فى حياتك ولا أدري من أين تحولت الي هذا الرجل؟ أنت جئت لنا غريباً! أنا هند التي كانت تعتني بك أكثر مما تعتني بنفسها، أنا هند التي كانت تحمل إليك كل حب دون أن تعلم أنت بحبها، فقد كنت أعتبرك الحب

الحقيقي لي، والآن تريد أن تعاملني بطريقة كي تجعلني أنسي؟ ماذا هناك؟ هل هي امرأة أخري أم ماذا؟

أخذت هند باقة الورد منه ووضعتها على الطاولة. نظر هو إلى الساعة فوجدها قد تجاوزت العاشرة بدقائق. انتبهت هند الي زوجها فوجدته ذهب لتبديل ثيابه فوقفت أمام باب الغرفة فقد استغربت فسألته:

- ماذا لديك اليوم؟ لقد انتهى اليوم، تريد الخروج الآن؟

- أنا لدي بعض الأعمال التي يجب أنجازها مع أحد العملاء لذا سأتأخر اليوم.

كان هو يفكر بأنه ليس أمامه وقتاً طويلاً لموعد العشاء مع زوجته الثانية آية الله أغا، أما هي فقد نظرت إليه ولم تُجبه بل ولم تتحرك من مكانها.

كانت هي تنظر الي باقة الورد معجبةً بها ولتنوع زهورها، بل كانت تذكرها بلوحة فنية لفنان شرقي كان مختصا برسم باقات الزهور. انتبه هو إذ رآها ما زالت واقفة فى مكانها عند باب الغرفة. لم يستوعب لماذا لم تذهب. أحس أن هناك شيئا، ربما له علاقة بما كانت تفتش عنه فى غرفته الخاصة صباحاً اليوم.

سألها ببرود.

- هل هناك شيء ما؟

- لا. لا شيء..

- لماذا لا تذهبين إذنً، لماذا تنظري هكذا؟

- لا أدري. أردت أن أطمئن عليك لا أكثر؟

- ألا تنتبه الي نفسك، ماذا تفعل، لماذا تخرج فى هذا الوقت؟

- قلت لك بأن لدي بعض الأعمال التي يجب أنجازها مع أحد العملاء. وإنه سوف يأتي لمقابلتي فى حدود العاشرة والنصف، وسوف نجلس فى مكان قريب من هنا وسوف أعود الي البيت بسرعة ولا أتأخر، وحتى لو تأخرت لا تقلقي. هل هناك شيء آخر؟

- ليس من عادتك أن تخرج فى هذا الوقت المتأخر من هذا اليوم لإنهاء بعض أعمالك.

- إن كان هناك شيئاً تودين إخباري عنه فيمكنك ذلك قبل أن اخرج. انا فى عجلة من أمري.

- أنت لن تخرج من هنا إلّا بعد أن تقول لي أحقاً لديك بعض الأعمال؟

- نعم.

- لدي سؤال.

- سؤال؟ اسألي ما تشائين من الأسئلة؟

أعتقد أنه لا مانع بأن أسألك: لماذا أهديتني بالزهور على الرغم من عدم وجود مناسبة لنا فى هذا اليوم؟

- لا أعرف أحببت أن أهديك شيئاً فلم أجد أجمل من الزهور.

- هل لديك أصدقاء تذهب لهم بالزهور ايضاً؟

- ماذا تقصدين؟

نظر إليها بارتباك أول الأمر لكن ارتباكه لم يستمر لأقل من ثوان قليلة، ثم ابتسم وقال محاولاً ألا يدعها تشك فيه، فقد أحس فجأة أنها غيورة وربما ستخلق هذه الغيرة له المشاكل، فابتسم وقال لها وكأنه يمزح:

- أخيراً بدأت تغارين عليّ. هند بدأت تغار عليّ!

انتبهت هند لارتباكه على قصر مدته، وأنه الآن يحاول أن يداري الوضع، وهذا ما زاد من يقينها بوجود شيء لا تعرفه وراء باقة الزهور هذه، فقالت:

- أنا لا أغار وإنما أسأل.

- بل تغارين من خروجي فى هذا الوقت المتأخر. لكن صدقيني أنت أجمل أمراه فى هذا العالم كله. وكما قلت لك على انجاز بعض الأعمال وسوف أعود سريعا.

- هذا ليس بجواب شاف.

- بلى.

-لا. أنت مدعو إلى عشاء وستذهب ولكن انتبه ان الزهور لا تقدم كهدية إلا لي.

- أوه. لم أفكر بأن ذهنك سيذهب إلى هذه المنطقة من التفكير.

- انه سؤال بسيط، والذي قلته تحصيل حاصل. أليس هذا صحيحا؟

- بلى. بلى. صحيح جدا. يا سيدتي الجميلة أنا مدعو عند العشاء ولكن لإنجاز بعض الأعمال معه، فاليوم التقيت معه فى مقر الشركة ودعاني الي العشاء لاستكمال باقي الأعمال. هذا كل ما فى الأمر، أهذا هو الذي يقلقك؟

- نعم. سؤال آخر؟

وجد المهندس عوني نفسه فى موقف محرج، ولكي يصل إلى خروج آمن من هذا المأزق الذي هو فيه، بادر إلى اسلوبه الشائق، فقال لها:

قبل أن تسألي. انتبهي ان الوقت يمر سريعاً.

انتبهت لما يقصده وقالت:

- خلاص لا شيء.

- إذن. سوف أذهب.

نظر إليها ليرى تأثير ما قاله عليها، فلقد كان صادقاً فى معظم ما قاله، لكنه لم يقل لها صراحة بأنه هذا العميل هو زوجته الثانية وأنه مدعو على العشاء معها فهو كان يعد الدقائق والثواني، وإنه هو الذي ذهب للبحث عنها أياماً، خرج هو بكل ثقة وعلي وجهه ابتسامة المنتصر.

******

بعد مرور شهر، ذهب المهندس عوني إلى مكتبة بالشركة يوم ما. جاءه رئيس مجلس ادارة الشركة وقال له بأن هناك الكثير من الأقاويل والتقارير تكتب عنه وحوله، وكلها سلبية المضمون! وبدأت نبرة المدير تتغير فى الحديث معه. واخذت يشوبها التهديد

المبطن بأنه يسيء استخدام مكانته كمهندس ورئيس مشروعات فى شركة كبري محترمة وقال له أن الشركة ليست لإقامة العلاقات العاطفية! انتبه هو إلى أنه يلمّح إلى زيارات زوجته آية الله أغا فى المرات السابقة فهو لا يعرف علاقته بها كزوجة، وأنذره بأن ينتبه لنفسه وإلّا فأنه سيوقعه فى مشاكل.

******

في اليوم التالي خرج المهندس عوني مبكراً من بيت زوجته الأولي هند فى حدود التاسعة مساءً، وبعد أن صار فى الشارع العام أوقف سيارة أجرة، واتجه إلى عمارة زوجته الثانية المهندسة آية، فهو اليوم المتفق عليه معها. عند باب البناية لاحظ حارسها والمسئول عن خدماتها جالساً على علبة من الصفيح وهو يشرب الشاي، فألقي عليه التحية. حينما دخل البناية، كانت الساعة تشير إلى العاشرة بالضبط. وهو الموعد المتفق عليه مع زوجته. صعد إلى الطابق الثاني. نظر إلى ساعته التي كانت تشير إلى العاشرة، فكر أن يقرع الباب أفضل من أن يستخدم مفتاحه، قرع الباب مرتين ففتحت له الباب ودخل.

******

مرت أيام وفي يوم ما، بعد أن خرج المهندس عوني من بيت زوجته هند، انقطعت صديقتها صفاء التي تعمل فى نفس شركة زوجها المهندس عوني عن الدوام ليوم وذهبت لزيارة هند، انها لا تأتي اليها كثيراً، فهي امرأة فاضلة حقاً لا تحب الزيارات الكثيرة الا للضرورة، فقد اتصلت عليها من قبل كي تخبرها بزواج زوجها عوني من المهندسة آية الله التي تعمل فى نفس الشركة، فهي

امرأة لا تستطيع السيطرة على شهوة الغيبة والنميمة، ولكنها ليست امرأة لعوب. وقد فوجئت هند بزيارتها فقد جاءت لها بدون موعد سابق ودخلت صفاء الي شقتها بعد ان قرعت الباب وبعد عبارات الترحيب جلست اليها، يتحدثان فى أمور الحياة، استمر الحال بينهما هكذا، لكن هند تنتظر منها بادرة عن سبب الزيارة، لكنها انتبهت إلى مبادرتها غير المباشرة بسبب وبدون سبب بالحديث عن علاقة زوجها عوني بالمهندسة آية الله أغا.

ومضت عشر دقائق أخرى على هذه الحال يثرثرون، ثم دخلت هند الي المطبخ وعادت بكوبين من العصير وجلست بجوارها، نظرت إليها وسألتها:

- هل من جديد مع زوجك هذه الأيام؟

- لا. قررت أن أتركه يفعل ما يشاء.

- وأنت؟

- ماذا عني؟

- هل تقبلين بهذا الوضع.

- لا طبعا. لكن ماذا أفعل. صرت لا أستطيع أن أقترب منه، وأحيانا نجلس ساعات دون أن نتكلم. أو أذهب أنا إلى غرفة النوم بينما يواصل هو مشاهدة التلفزيون، ويرجع لينام، فيجدني وكأني دخلت فى نوم عميق.

- يعني أنك لم تواجهيه بما تعرفينه عنه؟

- لا. منذ حديثي معك من قبل.

- وكيف ستعيشين معه؟ اقصد كيف ستصبرين على ذلك؟ هل تريدين العيش معه؟

- بالتأكيد أريد العيش معه، لكن ماذا افعل له؟

ودون أن تجيبها ضمتها إلى أحضانها، فأراحت رأسها على كتفها، فقالت لها وهي تضمها.

- أنت أفضل صديقة لي ولا أحب أن أراك حزينة.

صمتت هند لحظة، ثم قالت:

- أشكرك يا صفاء.

- أنك بركان من الغضب يتفجر. ربما لأول مرة أراك هكذا. إنك عاطفيةً جداً.

- نعم. أنا عاطفية. ولا أحد يعرف كيف ما هي النار التي تشتعل بداخلي، لكني أشعر أنني إذا واجهته الآن يكون هذا خطأ.

******

في اليوم التالي حينما ذهبت صفاء الي العمل دخلت الي مكتب المهندس عوني، وجاء موظف آخر يحمل له مشروع طريق خارجي لإحدى المحافظات المجاورة حولته عليه إحدى شركات المقاولات التابعة للإسكندرية. قبل نهاية الدوام، طلبها. جاءت إليه، ولم يكن يحتاج إلى شيء محدد، لكنه قال لها:

- اسمعيني يا آنسة صفاء. لماذا تتدخلي فى شئون غيرك. لماذا هذه المؤامرات؟

- ليست مؤامرات. أنا لم افعل شيئاً، فأنا لا أتدخل فى شئون غيري، وقد تربيت على قيم ومفاهيم لا تسمح لي بذلك حتى لو رغبت فى هذا.

- هل يعني أن كل شخص يعرف شيئاً ما يذهب ويتحدث به، قبل أن يتأكد منه؟

- لا.

- لكني أري أنك تريدين ذلك. لماذا؟

كانت تدرك لحظتها انه عرف كل شيء وأنها تحاجج بكلام فارغ فهي ظنت أن هند قالت له كل شيء. فهي تعرف أنها لو قالت شيئاً فسوف يكون بلا معنى.

- حتى لو أريد ذلك سيادة المدير. فأنا لا أقبل أن أفعل ذلك. ليس من حقي ذلك.

******

# الفصل الثامن
# الاتهـــــام

في نوفمبر ٢٠١٣م، وفي صباح أول أيامه، حين خرجت آية الله أغا، من الحمام وقد لبست ثوباً ساتراً، دخلت المطبخ لتجهيز الفطور وصبت لنفسها ولزوجها عوني الشاي فى كوبين وحملت أحدهما إليه. وجدته مستلقياً على السرير ينظر متأملاً فى سقف الغرفة التي أمامه. وضعت كوب الشاي بجانبه. كان شديد التركيز والأمل الي أعلي. لم ينتبه إليها للحظة، لكنه سرعان ما نظر إليها وكأنه فوجئ بوجودها. نظر إليها بتأمل وقال لها:

- اجلسي. أريد أن أسألك شيئاً.

نظرت إليه باستغراب وتوجست من سؤاله:

- خيراً.

- لا تقلقي. أنا أحتاج رأيك فى أمرٍ ما.

نظرت إليه بدهشة وقالت:

تحتاج رأيي؟ أنت مديري فى العمل وتحتاج إلى رأيي.

نظر إليها بهدوء وثقة وقال:

- نعم. ولِمَ لا. اجلسي.

هل سيطول الحديث؟

لا أدرى. هذا متعلق بك.

- اذن دعنا ننتقل الي الصالة ونجلس على الكرسي ونكمل الحديث.

- إذن دعيني آتي بكوبي.

- طيب. بسرعة.

ذهب هو إلى الحمام للحظة. جلست على الأريكة الصغيرة فى صالة الشقة. نظر إليها زوجها عوني بتأمل ورقة وقال لها:

- أحتاج رأيك فى موضوع خاص بنا وبعملنا بالشركة، لأني محتار.

- اسمع أولاً.

- طيب. جاءني هناك رئيس مجلس إدارة الشركة غانم بيه وتحدث الي كثيراً وقال لي بأن هناك الكثير من الأقاويل والتقارير تُكتب عني وحولي، وكلها سلبية المضمون! وبدأت نبرته تتغير فى الحديث معي واخذت يشوبها التهديد المبطن بأنني أسيئ استخدام مكانتي كمدير ورئيس مشروعات الشركة وقال لي أن الشركة ليست لإقامة العلاقات العاطفية! وانتبهتُ إلى أنه يلمّح إلى زياراتك لي فى المرات السابقة فهو لا يعرف علاقتنا وزواجنا، وأنذرني بأن أنتبه لنفسي وإلّا فأنه سيوقعني فى مشاكل كثيرة. على الرغم من أنني أعرف أنه مرتبط بامرأة متزوجة.

- كيف يتهمك وهو لم يتأكد من علاقتنا أو يسألك أولاً؟

- المشكلة هنا، أن الجميع يعرف علاقتنا تقريباً.

- يعرفون ماذا؟

السكرتيرة كانت تعرف. وحينما دخلت المكتب فى الوقت الذي شاءت الصدفة أن اتحدث فيه معك عن مستقبلنا وتأجير شقة جديدة لنا.

لم تستغرب آية اللّه من هذا الحديث فقالت وهي سعيدة...

- وما الذي يمنعنا من أن نعلن لهم الحقيقة، اعتقدت أنك تريد أن تأخذ رأي فى أمر مهم يتعلق بالعمل ذاته ولكن هذا أمر شخصي يهمنا نحن:

- أعتقد ربما السكرتيرة عرفت بعلاقتنا فقالت له؟ لأنه فى كثير من الوقت غير موجود فى الشركة.

- ربما ثمة موظف آخر عرف فقال له؟

- هذه ليست بورطة حقيقية! أنت ماذا تعتقد؟

- لا أدري. لماذا أسألك إذن؟

- أنا أعتقد انه من الأفضل ان نعلن لهم جميعاً عن زواجنا.

- أعتقد هذا. ولكن أردت أن أسألك أولاً.

- حسناً. غداً سوف نخبرهم بزواجنا.

- اتفقنا.

- اتفقنا.

******

وفي مساء ذات اليوم حين استيقظت هند من قيلولتها، دخلت المطبخ أحضرت لنفسها شيئاً من الطعام. صبت لنفسها القهوة وحملتها إليه صالة الشقة. أمسكت بجريدة تقرأها وتنظر اليها متأملةً فيها. وضعت كوب القهوة أمامها. ظلت منهمكة بالقراءة. لم تنتبه الي قرع الباب ولو للحظة واحدة، لكنها سرعان ما نظرت إلى الباب. نظرت بتأمل الي الباب وتقول فى نفسها أنا لم

أنتظر أحداً، فشعرت بالخوف يسري فى عروقها، لكنها فجأة، قالت:

- من بالباب؟

- افتحي الباب دكتوره هند أريد ان اسالك شيئاً.

قالت فى نفسها ان هذا الصوت أعرفه.

ذهبت وفتحت الباب وإذا بالشيخ وزوجته السيدة ميمونه امام الباب، هلعت وشعرت بالخوف وأن دقات قلبها أصبحت سريعة جداً، وكأن حدث لها هبوط مفاجئ فى القلب أو أنه قد توقف أو كاد أن يتوقف، وأن التنفس أصبح قصيراً ومتقطعاً، وأنها لا تكاد تأخذ هواء كافياً أثناء التنفس، وأصبح جسدها وأطرافها وجبهتها باردةً وعرق بارد يغطيها وتقلصات فى أعلى بطنها، وضعف فى عضلات قدميها ويديها وقد شعرت أنها لا تكاد تستطيع أن تقف على قدمها أو أن تفعل أي شيء بيديها، ورغبة مفاجئة فى التبول ثم سقطت أرضاً، و كأنها أشبه ببناية انهارت فجأة. فقد أصابها هلع مفاجئ وشديد، وشعرت أنها ستموت حالاً، أغلق الشيخ الباب وتحاول السيدة ميمونة افاقتها مكثت لدقائق عدة ثم انتهي الموقف ولكن يبقى الخوف لديها من الموقف ومن تكرار ما حدث لها، ثم قال لها الشيخ:

- اجلسي. نريد أن نسألك شيئاً.

نظرت إليهما باستغراب وتوجست منهما:

- كيف هذا لقد سمعت انكما متوفيان منذ سنوات، هل هذا صحيح؟

- ابتسم لها الشيخ، كيف هذا ونحن امامك.

- نعم.

- اهدئي يا ابنتي.. خيراً إن شاء الله.

- خيراً. لا تقلقي. نريد أن نعرف ماذا حدث للحارس وزوجته؟

نظرت إليهما بدهشة وقالت:

- تحتاج أن تسألني؟ أنت الشيخ الروحاني ولديك أعوان من الجن وأعوان لكل شيء، وتحتاج ان تسألني.

نظر إليها بطيبة وهدوء وثقة وقال:

- نعم. ولِمَ لا. اجلسي.

- هل سيطول الحديث؟

-لا أدرى.

- إذن دعني آتي لكما بضيافة.

- لا بأس.

ذهبت هند إلى المطبخ للحظة ثم عادت وهي تحمل أكواب من العصير. جلست على الأريكة التي أمامهم. نظرت إليها السيدة ميمونة بتأمل ورقة وقال لها:

- أروي لنا ما حدث من دون تفاصيل كثيرة. نحتاج ان نعرف لأنني سمعت أن احتمالات معرفة من القاتل ضعيفة.

- كان صاحب مكتب السيارات يريد الحارس، فذهب الي مسكنه. طرق الباب مرات عديدة لكن لم يكن هناك أحد فى الشقة، حاول فتح الباب لكنه كان مغلقاً من الداخل وحينما

كسره وجدهما غارقان فى الدماء مقتولين وممزق جسدهما. بعد أيام جاءت الشرطة لتعتقل موظف عند صاحب مكتب السيارات متهمين إياه بقتلهما. لقد وجدهما مقتولين فى مسكنهما. الطبيب الشرعي حدد ساعة الجريمة فى الساعة العاشرة صباحاً.

- كيف تتهم الشرطة الموظف وهو لم يقتلهما.

- قد تكون جميع الأدلة ضده.

- أية أدلة؟

- ربما الحارس عرف بعلاقة زوجته به فقتلها وانتحر؟

- هل كان الموظف موجوداً فى مسرح الجريمة فى هذا التوقيت.

- ربما. لا أعرف.

- ربما ثمة لص دخل مسكنهما وقام بالجريمة؟

- لم يُسرق أي شيء من مسكنهما. فليس لديهما ما يدعوا الي السرقة وكذلك ليس لديهما أي من المجوهرات فهي كانت لا تملك شيئاً.

- ربما لدي زوجها ثأر وعرف صاحب الثأر مكانهما فدخل وقتلهما بعد صراع بينهما؟

- ربما.

- هل وجدوا أي علامات عنف عليهما؟

- لم يجدوا أي علامات عنف على وجههما، ولا أي توتر أو رعب أو مفاجأة لوجود قاتل. كانت الزوجة فى زينتها. وكانت

مطعونة بسكين من الأمام وكذا زوجها. وليس فى الشقة أي أثر لأحداث عنف أو شجار.

- حيرتني مدام هند!

- هي حيرة بالفعل. لأن الدلائل كلها لا تدين أحد حتى الآن.

ألم يسمع أحداً صراخاً أو عراكاً أو حتى صوتاً قادماً من الشقة فى تلك اللحظات؟

- أبداً.

- لكن أعتقد أن هذا الموظف بريء؟

- وقد يكون أمام القانون مجرم!

- القانون هو القانون. على الرجل إثبات براءته.

- لقد اثبت الرجل براءته. وهل خرج الرجل من هذه القضية بعد التحقيق معه؟

- نعم.

- قلت بأنك لم تجدين أحداً فى الشقة، حينما أردت زيارتنا فى موعد غير محدد.

- متي اردت زيارتنا؟

- كانت الساعة فى حدود السابعة مساءً.

- هذا صحيح، لم نكن فى ذلك التوقيت بالشقة.

- ولماذا تعتقدين فى عدم وجودنا فى الحياة وتقولين إننا قُتلنا من قبل؟

- أنا لم أعتقد شيئاً ولكن هذا ما قاله لي الحارس وزوجته رحمها الله.

- وانا لا أدري. لماذا أسألك إذن مرة أخري؟

- كنت اسأل نفسي أحياناً هل ما انا فيه حقيقة أم أنه حلم؟ اعتقدت أنه كابوس؟

- او قد يكون تلبس كامل عارضاً.

- تلبس كامل عارض؟

- نعم.

- ما هذا التلبس الكامل العارض هذا؟

- هو أن يكون الجني متلبساً بالإنسان بشكل كامل ويتواجد فى الإنسان الممسوس بشكل دائم لكنه يخرج ويرجع.

- لا تقلقي أنا امتلك للخواتم الروحانية عندي خاتم الملوك السبعة وخاتم الزهرة وخاتم صد الحديد والنار وخادم مخدم بمئة جني لكل شيء.

- متى أستطيع زيارتكم؟

- يمكنك زيارتنا فى أي وقت؟

- غداً فى الساعة الثامنة مساءً.

- اذن غداً.

كانا يتحدثون ويرتشفون العصير. شعرت هند بالسعادة بعدها وتركت الخوف والهلع وخاصة بعد أن حدثها الشيخ بجدية

واحترام عن امتلاكه للخواتم الروحانية. وخرج الشيخ وزوجته من شقتها متجهين إلى الطابق الأعلى الي شقتهما.

******

مرت دقائق وقد عاد زوجها ودخل الي غرف النوم ليبدل ثيابه وذهبت هي الي المطبخ لتحضر لهما طعاماً، مدد جسده على السرير فى غرفة النوم، وحينما عادت ودخلت الغرفة فوجئت وكأن جسد متمدد على الأريكة، ولا يظهر منه سوى رأسه التي هي رأس ضبع. أرادت أن تصرخ، لكنها حينما نظرت ثانية لم تجد شيئا.

أصابها الذعر مما رأته أو خيل لها أنها رأته. فكرت للحظة عن معنى وجود ضبع فى البيت. خرجت من الغرفة إلى المطبخ للحظات وهي فى طريقها الي الغرفة سمعت أصوات صراخ مرعبة قادمة من خارج الشقة على الدرج. دخلت مذعورة إلى الغرفة. شعرت بالخوف. خرجت من الغرفة متجهة إلى الغرفة الأخرى حيث زوجها. نظر إليها بتساؤل حين رآها خائفةً قائلاً:

- هل جرى شيء ما؟

فسألته بنبرة مشوبة بالخوف:

- هل سمعت صراخ أحد يستغيث؟

- لا.

- لكني سمعته وكأنه اتي من خارج الشقة!

نظر إليها مستغرباً. ثم قال بهدوء:

- إنك تتوهمين. ربما صوت أحد من الجيران فقط.

- الجار الذي يسكن معنا فى نفس الطابق وبابه قريب من بابنا لا عائلة لديه. والجيران فى الطابق الرابع أيضاً.

- إذن. مجرد وهم لا أكثر.

- لكني سمعته مثلما أسمعك الآن!

نظر إليها وفكر بأنها ربما تفكر فى جريمة القتل التي حدثت فى العمارة، لذلك يراودها مثال هذا الوهم. فقال لها:

- يحصل أحياناً أن نرى أو نسمع أشياء غريبة.

ربما. لكنني أيضاً رأيت هيئة انسان برأس ضبع.

نظر إليها مستفسراً ثم ابتسم قائلاً:

- ضبع؟!

- نعم.

ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة. وقال:

- أنا كنت نائم هنا.

- وكأنه بجوارك او ....

فقاطعها مستفسراً:

- وبعد ذلك؟

- اختفى. أقصد حينما كررت النظر ثانية لم يكن هناك أي شيء.

- غريب أن تري ضبع فى البيت؟

لم يعلق أكثر إذ غرق فى صمته وكأنه يحلل ما قالته. ظلت هي تنتظر للحظات لمواصلة الحديث لكنه استمر فى صمته، تائها فى أفكاره.

خرجت من الغرفة واتجهت الي المطبخ. بينما ظل يفكر فى الدلالات لوجود ضبع فى مخيلتها او انها قد رأته برأس ضبع، فكر مع نفسه: ربما لأن الضبع يتميز بقوة فكيه الهائلة، فتمكنه من سحق العظام بأنيابه لذلك انعكست تفكيرها برموز حيوانية وصحيح كنت قاسياً معها فى الايام الأخيرة هذه؟ ومن الممكن أن هذه الأفكار لم تستطع كبتها فتجلت لها بهذه الصورة؟ لاسيما أنني أهملتها بشكل كبير فى الفترة السابقة. أو ربما أنها تشك بأن لي علاقات نسائية وأن الضبع عليه أكل الجيف وبقايا صيد وفرائس الحيوانات الأخرى، لذا فأن عقلها الباطن حاول تصوير تفكيرها بتجسيد الضبع وأنا نائم! أو ربما لأن الضباع فاسقة، ويضرب العرب بها المثل فى الفساد.

******

استيقظ المهندس عوني صباحاً على شخير زوجته المدثرة فى غطائها نائمةً بجواره فى غرفة نومهما. كان الشخير عالياً ومزعجاً. اعتقد أنها غير مرتاحة فى نومها. مر بالمطبخ. بدأ يغلي الماء لإعداد قهوة له، ثم اتجه إلى الصالة، هو يعرف أنها أحياناً تتأخر عن موعد نومها. حاول إيقاظها قبل أن يخرج الي عمله قائلاً لها:

- هند. هند. سوف أخرج الآن الي عملي هل تريدين شيء؟

لم تستيقظ مباشرة، وحينما هزها ثانية برفق، فزت من نومها مرعوبةً وكأنها مطاردة من قوى مجهولة، وتمتمت بخوف:

- ماذا؟ ماذا حصل؟

فقال لها بهدوء وهو ينظر إليها بإشفاق:

- لا شيء. لم يحدث أي شيء. فقط اردت أن تحركي رأسك لتأخذي راحتك. يبدو أنك تعبت البارحة جداً.

انتبهت لما هي فيه وعرفت أنها نامت بعد تعب شديد من التفكير فيما يحدث لها. بهدوء استيقظت لكنها نظرت إلى الساعة الحائطية فقامت بسرعة وهي تهمس فى نفسها: الساعة الثامنة. لدي موعد مع صديقتي اليوم فى الظهيرة. ولكن لا أتأخر.

نهض هو خارجاً من الغرفة وذاهباً باتجاه الحمام. تبعته زوجته متجهة إلى المطبخ لتعد لهما الفطور. بعد قليل خرج من الحمام وهو يجفف وجهه بمنشفة بيضاء. كانت هند قد صبت الشاي فى كوب واحد لها فقد اعد لنفسه قهوة وأخرجت الجبن مع علبة الفول من الثلاجة كما كانت قد وضعت الخبز فى جهاز التسخين الكهربائي. كانت تريد أن تضع هذه الأشياء فى صينية لتذهب إلى غرفة الاستقبال كي يفطرا، إلا أن زوجها كان كما يبدو مستعجلاً فعلاً، لذا أخذ الخبز وبدأ الأكل وهو واقف فى المطبخ. حينما نظرت إليه زوجته باستغراب نظر هو إليها مستفهما ثم قال:

- لماذا تنظرين إليّ هكذا؟ ألم أقل إنني مستعجل وعندي عمل.

- لماذا تصدر دائماً أصوات عند الأكل هكذا؟

- قلت لكي أنني مستعجل، لا أريد أن أتأخر عن عملي.

ثم أخذ يشرب القهوة بسرعة بجرعات كبيرة، وما أن انتهى حتى خرج مسرعاً من الشقة، بينما ظلت هند وحيدة. وضعت كوبها وقطعة من الخبز وشيئاً من الجبن ثم جلست لتأخذ فطورها لكن قبل ذلك ضغطت على زر جهاز التحكم، فبدأ بث التلفزيون. مرت ساعة وهي وحيدة بالشقة ثم نهضت واتجهت الي الحمام وبعد دقائق خرجت من الحمام وهي تجفف وجهها ثم اتجهت الي غرفة النوم لتبدل ثيابها، فهي لديها موعد مع صديقتها التي قد سألتها عن شيخ قرآني او امام مسجد كي تحكي لها ما يحدث لها خاصة بعد زيارة الشيخ وزوجته المنتقبة ليلة أمس.

كانت الساعة فى حدود الثانية عشر ظهراً حينما خرجت هند من شقتها التي تقع فى الطابق الخامس من البناية. استوقفت سيارة أجرة واتجهت الي صديقتها مرفت التي تعرفت عليها فى أحد مراكز التجميل منذ بداية سكنها بالإسكندرية، اتجهت هند الي مقر عملها، فوجدتها ترتب بعض الملفات الموجودة على طاولة مكتبها، فبادرتها مرحةً، فهي تعمل سكرتيرته فى إحدى شركات السياحة، كانت فى بداية الثلاثين من العمر.

- صباح الخير يا ميرفت.

فالتفتت إليها وقالت وهي تبتسم لها:

- صباح الخير يا هند.

فبعد أن أنهت ميرفت عملها انتبهت إلى مجيء هند لها فى الموعد المحدد بينهما. وكان يراودها شعور غريب وفضول لمعرفة ما تحكي لها هند من أحداث لذلك اجتاحتها حيوية غريبة للخروج من العمل وخرجا مسرعين الي الامام محفوظ، والتي تعرفه ميرفت فقد قالت لها أنه امام أحد المساجد فى مدينتها. حينما وصلا الي بيت الامام، بعد التحية والترحيب بهما فى بيته، جلست هند وحكت له ما يحدث معها.

ضحك الإمام وقال:

- هل تشعرين بأن هناك شبح ما يطاردك؟

- نعم. وانا اخاف كثيرا منه؟ وقالت لي جارتي المنتقبة وزوجها، انه العون المعين وأنه غير مؤذى ولا تخافي منه وانا سوف أصرفه عنك ولي موعد معهما اليوم بعد العشاء.

- الإنسان هو الذي يعين نفسه يا بنتي كما يعين غيره ولا أحد غيره.

انبهر الامام من قصتها وطلب منها الانصراف وعلى أمل ان تعود يوم الغد له وللقائه مرة أخري.

وافقت هند ووعدها بأن يلقاها فى اليوم التالي. تشتت عقل هند فى هذا العالم الاخر، خاصة بعد لقائها هذا مع الامام محفوظ، خرجا من بيت الامام وبينما وهما فى الطريق المتجه الي بيت

ميرفت، شاهدت كأنه زوجها المهندس عوني يهرول فى الشارع بسرعة كبيرة واستغربت كيف انه يتواجد بهذا المكان وهو بعيد عنه وعن عمله بخمس كلومترات، همست فى نفسها: كيف وهو فى عمله الآن؟ نادت عليه هند: عوني.. عوني! لكن زوجها زاد فى سرعته ودخل الى وسط الشارع وصدمته سيارة مسرعة!

طار عقلها من مكانه ولم تحملها قدميها لأنها تري زوجها يتعرض لحادثة سير بين عينيها، سقطت هند فاقدةً للوعي، لحظات واستعادت بعدها وعيها وتجمع الناس وميرفت ترش وجهها بالماء.

فصاحت قائلةً:

- زوجي. زوجي. الحادثة!

أخبرها الناس المتحلقين حولها انه لا توجد اي حادثة. صارت بالجوار مع صديقتها ميرفت وتأكدت بنفسها أنها كانت فى حالة هلوسة. قامت مستندةً على أكتاف ميرفت والمتحلقين حولها وساعدتها ميرفت فى الذهاب، أخرجت هاتفها المحمول واتصلت بزوجها قائلةً:

- عوني.. أنت عوني؟

اجابها باستغراب:

- نعم. ماذا حدث؟

- لا شيء أطمئن عليك لا أكثر.

اتجها بعدها الي بيت ميرفت، وقدميها بالكاد تحملانها وتأكدت فعلاً ان زوجها ما زال فى العمل ثم قصدت بعدها بيتها ونامت نوماً عميقاً حتى الثامنة مساءً فهي لم تبدل ملابسها، وحينما عاد عوني الي البيت وجدها نائمة وسمعت هي قرع أقدامه فنهضت وسألها عما حدث لها، عن سبب اتصالها له مؤكداً لها أن هناك شيء ما من الممكن أنه حدث.

******

وفي الموعد المحدد لها مع الشيخ وزوجته المنتقبة صعدت هند راكضةً بعد خروج زوجها، فهي لم تأخذ بنصيحة الامام بانها تحاول الابتعاد عنهما وألا تذهب لهما مرت أخري. وحينما أصبحت أمام باب شقتهما، قرعت الباب وفتحت لها السيدة ميمونه، دخلت والتقيت بالشيخ وبعد التحية والترحيب، بدأت بسرد ما وقع لها فى نهار هذا اليوم بعد الظهيرة.

نظر إليها الشيخ كمن يريد إطلاق طلقته الأخيرة على الهدف الذي سيحسم وضعه معه، وقال:

- يختبرونك يا دكتورة هند لأنك تتحدثين معهم!

فوجئت هي برده وبتحول حالها وأحست بالخوف ثم قالت بلهفة:

- أنا لا أحدثهم.

- بلا. تحديثهم كثيراً. فهم قريبين منك كثيراً، ولكن لا يؤذونك.

أحسّت هي ببعض الراحة حينما عرفت أنهم لا يؤذونها وارتسمت على ملامحها الهدوء، فقالت مبتسمة:

- اريد أن ارى الجني المعين الذي حدثتني عنه.

انتبه إلى طلبها ونظر إليها متعجباً، وقال لها:

- سوف اساعدك فقط فى انصرافه عنك حتى لا يتعبك بشيء فى حياتك.

- أنا أريد الجني المعين حتى أتحدث اليه.

وامام إصرار منها على رؤية الجني عمد الشيخ الى احضاره لها. كانت هند هذه المرة صلبةً ورأت الجني وكلمها وقالت له:

- ايها الجني لماذا تفعل معي هذا؟

صاح الجني مقهقها، حتى اهتزت الجدران وقال:

- هند. صرت معروفةً لدينا فى عالمنا وأردنا اختبارك. اختبرناك ووجدناك ضعيفةً ولكن هناك صندوق سوف تجدينه فى غرفة نومك ستجدين به مالاً وسراً من أسرار الحياة وإذا اردت ان اكون معين لك تحدثي الي الشيخ وسوف يُعرفك طريقة التواصل معي لأدلك على الخيرات والمنافع لك.

انصرف الجني بدون استئذان بعدها كالرياح تدور. وترك العديد من علامات الاستفهام فى عقل هند. نظرت الى الشيخ وقالت:

- اريد منك طلباً واحداً، اريد منك ما قاله هذا الجني؟

فقال لها بنبرة خافته:

- هذا جني سفلي يا هند! لن يدلك على الخيرات أو المنافع.

بكيت هند بحرقة وطلبت منه بإصرار ان يربط العلاقة بينها وبين الجني أكثر.

صمت الشيخ للحظة ثم نظر إليها متعجباً، وقد أصابته دهشة حقيقية من إصرارها، وكأنه يحل لغزاً وفجأة غضب وتركها ناهضاً من مكانه. نهضت هند خارجةً من الباب وهي تجر أذيال الخيبة من عدم استجابة الشيخ لطلبها والحيرة لفت عقلها ووجدانها.

******

ذهبت الى شقتها فلم تجد زوجها وتذكرت ما قاله الجني لها من انها سوف تجد صندوقاً به مالاً وسراً لها دخلت غرفت نومها واجتهدت فى البحث. وجدت صندوقاً حديدياً صدئاً وبه قطع من المال القديم وجلد قديم ملفوف فيه خاتم من النحاس الاحمر.

جلست وبدأت فى تنظيف ما وجدته وزادت حيرتها كثيراً، لا تعرف لها جواب. دخلت الى غرفة اخري من غرف شقتها وأشعلت شمعه وبدأت فى طلب حضور الجني بقولها:

- ايها الجني المعين أريد ان تحضر الآن.

تمسح على الخاتم وهي تعتقد انه خاتم يحضر الجن بالمسح والفرك عليه لكن لا حضور ولا جواب ولا أي شيء! حالة من الحيرة وهمست فى نفسها: ان الأغبياء من الناس اليوم هم الذين يسقطون فريسة للعالم الخفي والمجهول، عالم تختلط فيه الحقيقة بالخيال ويختلط فيه المعقول باللامعقول ويختلط فيه الواضح بالخفي. استجمعت هند نفساً عميقاً ووضعت ما وجدته

على طاولة خشبية امامها وبدأت بتحليل ما عثرت عليه خاتم من نحاس قطع من المال النحاسي القديم قطعة متهالكة من الجلد. جمعت هند عزمها على تعلم العلم الخفي.

******

وفي صباح اليوم التالي حين ذهبت هند الي مقر الشركة التي يعمل بها زوجها كانت متأكدة أنها ستراه فى مكتبه، إلا أن خيبتها كانت كبيرة حينما لم تجده بل وجدت زميلته المهندسة آية اللّه مع السكرتيرة جالستين فى زاوية من غرفة مكتبها يتحدثان وأمامهما فنجانان من القهوة.

كانت عازمة على رؤية زوجها ومحادثته والاستفسار منه عن تصرفاته الغير مهذبه التي سمعت بها مرة أخري من زميلتها صفاء، فتقدمت منهما وسلمت بتوتر، وسألت السكرتيرة عنه، فقالت لها إنه فى مكتبه بالداخل مع صاحب الشركة وسوف يخرج الآن، ثم دعوها للجلوس معهما لشرب القهوة، لكنها لم تنتظر أن تكمل جملتها إذ استدارت متوجهة إليه. ترددت بالدخول اليه فرجعت إليهما معتذرة وسألت عن مكان الحمام فقالت لها السكرتيرة: فى آخر الطابق يسار، فاستدارت ثانية بعد أن شكرتها بصوت خافت وكأنها تحدث نفسها.

عادت هند ووقفت أمام باب مكتب زوجها للحظات. كانت مترددة وكانت تبدو وكأنها تتنصت على من فى الداخل. وخلال لحظات مرّ فى ذاكرتها كل ما سمعته من صديقتها صفاء

الأسبوع الماضي، فاختلطت مشاعرها، لكنها حزمت أمرها وطرقت الباب.

كان زوجها جالساً على مكتبه حينما سمع طرقات على الباب فأذن لها بالدخول. فوجئت بأنه حقاً كان جالساً مع صاحب الشركة غانم بيه، الذي كان وجهه ينم عن غضب أول الأمر فخجلت وارتبكت واعتذرت ثم خرجت. ناداها زوجها عوني وكانت تبدو أكثر جمالاً وأنوثة بثيابها المحتشمة المغلقة حتى الرقبة والسترة التي تمنحها رزانة وأنوثة غير ما كانت عليه من قبل. وقد نظر اليها غانم بيه صاحب الشركة وكأنها كاشفة لأجزاء مثيرة من جسدها وظل لحظات ينظر إليها وهي تتحدث مع زوجها ثم قال لها غانم بيه:

- لا يجب ان تظلين واقفة عند الباب؟

ثم عاد فقال لها بشيء به نوع من الخجل:

- تفضلي. استريحي يا مدام.

دخلت إلى غرفة المكتب وجلست على الكرسي الذي وضع مقابلاً لغانم بيه وأمام مكتب زوجها. وضعت حقيبتها اليدوية على الطاولة. ثم استأذن غانم بيه وخرج، فما كان من زوجها إلا أن جلس على الكرسي الآخر المقابل لها حول نفس الطاولة وكأنه ينتظر منها أن تبرر قدومها له.

نظرت إليه ثم قالت له:

- هل يمكنك أن تطلب لي قهوة؟

لم يعلق هو شيئاً وإنما قام نحو التليفون. أخذ سماعة الهاتف وطلب لها القهوة، ثم رجع جالساً إلى كرسيه. نظرت إليه متفحصة وكأنها تستشف مدى استعداده لما ستقوله. ظل هو صامتاً ينتظر، وقال مع نفسه: إنها بالتأكيد لم تأت إلى هنا لشرب القهوة معي!

مرت لحظات صمت مشحونة بتوتر غامض. ثم بدأت تتحدث بهدوء وبثقة، وبدأ صوتها فى أول كلماتها مرتعشاً، لكنها سرعان ما انتبهت لرعشة صوتها فسيطرت على نفسها وصوتها، قائلة:

- قبل كل شيء أود أن أقول إن تصرفاتك معي فى الأيام الأخيرة لا يمكن أن تُفسر إلّا كتصرفٍ غير محترم، وينم عن ان هناك أمرأه أخري فى حياتك.

صُدم أول وهلة من كلماتها وأراد أن يوقفها أو أن يقاطعها مستفسراً عما تقصده، لكنه سكت وواصل تأمله لها وأنتظر منها أن تواصل حديثها. سكتت هي للحظات ثم واصلت:

- أنا لستُ زوجة مهملة لتتنقل انت من امرأة إلى أخري، وإذا قد جئت اليوم، فلأني امرأة حرة بنفسي، وأحترم نفسي وليس لجمالي او غير ذلك، وإنما لقناعتي الشخصية بنفسي، بشخصيتي وأسلوبي معك وذوقي! وحينما قبلتُ على نفسي أن أكون زوجتك وان أترك عملي فهذا لا يعني الا انني أفعل ذلك من أجلك ولأنني أحبك، لذا أعتبر أن تعاملك معي وتجاهلي لي بهذه الطريقة المهينة هو احتقار منك لي.

شعر عوني، برغم نبرة الغضب والاتهام المباشر لعقليته، براحة واسترخاء، ثم قال لها:

- ثمة سوء فهم حصل بيننا فما تتهميني به من إهمال وتجاهل ليس صحيح. وليس ما تعتقدين هو صحيح، ثم سألها بهدوء شديد:

- ما الذي يا تُرى فعلته أو صدر مني كي تعتبريه احتقاراً لك؟

نظرت إليه بدهشة حينما لاحظت هدوئه وعدم انفعاله من هجومها الواضح، فقالت بنبرة أكثر هدوء:

- إنك تجاهلتني بالكامل. وكلما أسألك عن شيء تشيح بنظرك عني وكأنك تتهرب مني، كي لا تراني.

ابتسم عوني لقولها انه يتهرب منها، فقال بارتباك:

- أنا؟ أنا؟ متى كان ذلك؟

- لماذا تزوجت بامرأة ثانية؟ ما الدافع وراء هذا؟

- لا يجب أن نتحدث هنا عن تلك الأمور، سوف نتحدث فى بيتنا.

فقالت بتحدٍ:

- نكمل حديثنا اليوم عند انتهائك من العمل نذهب الي المطعم عند الغداء!

ابتسم لها بلطف وسماحة وقال:

- اتفقنا. بعد انتهاء العمل سوف أرجع الي البيت ثم نذهب سوياً الي المطعم.

لا تدري هند كيف صدّقته، واستغربت من نفسها حينما شعرت بأن كل غضبها منه وتحاملها عليه زال خلال لحظات، ولم يبق منه شيئا فى نفسها. ثم خرجت من مكتبه الي خارج الشركة فاستوقفت سيارة أجرة واتجهت الي بيتها.

******

## الفصل التاسع
# الخيانة وجهة نظر

حينما انتهي المهندس عوني من عملة، اتجه الي زوجته هند وذهبا الي المطعم وجلسا وعند لحظة وصوليهما جاء النادل ومعه صينية فيها زجاجتين من الماء. وضع الصينية على الطاولة أمامهما. ثم عاد لهما بوجبة الغداء التي قد تم اختيارها من قائمة الطعام التي أمامهما.

وبعد تناول الغداء جاء اليهما النادل سألهما عما يريدان أن يشربا؟ فقالت هي القهوة، فصب لها القهوة فى أحد الكوبين، ووضع أحد أكياس الشاي فى الكوب الثاني لزوجها وصب الماء الساخن فى الكوب. نظر عوني إليها وكأنه يبحث فى وجهها عن شيء مجهول، فانتبهت له وسألته:

- ما بك لماذا تنظر إليّ هكذا؟

- أريد أن أسألك شيئا.

- اسأل.

كانت تشعر بأنها مذنبة فى حقه أحياناً، فهي فعلاً لم تمنحه الخصوصية والاهتمام خاصة فى الأيام السابقة، لكن هذا شيء طبيعي، فهي تمر بأمور غير إرادتها أحياناً، ولا مجال عندها بالاهتمام به كزوج، لكنه باعتباره شخصاً شرقياً فهو لم يستوعب ذلك، ووجدت له عذراً، وفهمت رد فعله بتجاهلها، لذا فهي تريد أن تعوض عن سوء الفهم الذي حصل منها وحتى يعود اليها ويكون ملكاً لها فقط. وكانت متلهفة لسماع سؤاله. وسمعته يقول لها:

- قبل كل شيء أعجبتني شجاعتك يا هند واحترامك لذاتك بهذه الطريقة. وهذا ما دفعني لحبك.

نظرت إليه للحظة وكأنها تقرأ أفكاره، ثم ابتسمت وقالت بلطف:

- توقعت أن تقول لي هذا، فهو أسلوب الذين يبيعون الكلام المرتب، فحينما يودون التقرب من زوجته يقول لها هذا الكلام فيمنحون الزوجة شعوراً بالتميز، فيعجبها ذلك ويرضي غرورها، وبالتالي تبدأ بتقديم التنازلات لهم، وشيئا فشيئا يأخذون باحتلالها.

أحب ردّها الذكي على الرغم من نبرته الهجومية، فابتسم وقال:

- ماذا. هل هي حرب بيني وبينك؟

- نعم، حرب.

نظر إليها بمودة وقال مازحاً:

- إنك قاسية.

صمتت لحظة. وكأنها كانت تستعيد سيرة حياتها فى ثوان، وقالت بنبرة جادة مشوبة بيأس مبطن:

- أنا لست قاسية. ولكن الرجل يبدأها بالحب ثم يهمل من يُحب.

انتبه عوني لإجابتها. صمت لثواني. ثم قال:

- لكن العكس يحدث أحيانا! تبدأ المرأة بالحب ثم الإهمال.

ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

- هذا يحصل نادراً جداً، وحتى إذا ما حصل فهو يحصل بحكم العادة والتكرار، ويبقى فى الجوهر حباً.

ابتسم لها وعلّق بمرح:

- أوه. بدأنا نتحدث بالألغاز.

نظرت إليه وبدأ واضحاً أنها تريد أن تتحدث عما بداخلها، وأنها معبأة بالكلام الذي يكاد يخنقها، فقالت:

- لقد مررت بظروف دعتني أن أعيد حياتي من جديد.

صمتَ عوني لحظة وكأنه يريد أن يستوعب ما تريد ان تتحدث عنه فأوجزت بعدد من الكلمات، وقالت بهدوء وبتقدير واضح:

- من أنت؟ من تكون؟

نظر إليها مستغرباً سؤالها ثم صاح مقهقهاً وقال:

- بعد مرور عامين من زواجنا، تسألين من أنا، من أكون؟

- نعم أنا محقة عندما اسالك من أنت.

- لماذا؟

- لأنني لم أري أحداً لك من أقاربك من قبل منذ زواجنا، ولم يزورنا أحد اقاربك، وقولت لي أول الأمر أنك يتيم وليس لك أخوه. نعم أعلم هذا كله وأعلم أنك كنت صديقاً لأخي عزام ولكن من أنت؟

ارتسمت علامات الاستغراب على وجه عوني فسألها:

- ألست إنساناً بالكامل مثلك؟

- نعم، لكني أشعر بأن لديك ازدواجية بالانتماء أحياناً وهذا ما يقلقني.

- أنا!

- نعم.

- بل أنا الذي اشعر بأن لديك ازدواجية فى انتمائك الشخصي.

- صحيح أنا نفسي لا أعرف من أنا، أحياناً أفكر كإنسانة، لكني لستُ كإنسانه، بل إن الجن أنفسهم لا ينظرون إليّ هكذا حتى لو عشت عمري بينهم، صحيح أني أحمل انسانيتي، لكني أنا إنسانة بلا جذور.

ثم ارتشفتْ هي شيئا من القهوة، وقالت:

- غريب هو الإنسان. لم يدر فى ذهني أبداً أن ينتهي بي الأمر بعد أن كنت فى أشد حالات الغضب منك، إلى أن أجلس معك هذه الجلسة اللطيفة لنتحدث عن الحب وعن يوم زواجنا وعن أعماق الإنسان ونحلل شخصيته، فأنا كنتُ غاضبة منك جداً. كنت آتية لأُسمعك بعض الكلمات القاسية على ما سمعته عنك وما كنت تفعله معي من قبل، بينما أتضح أنك مستاءً مني بسبب خرافاتي. يا له من سوء فهم، ويبدو لي أن مآسي البشر تأتي دائماً من سوء الظن المتبادل!

ابتسم لها بمودة وقال:

- أكيد. أتفق معك بأن معظم مآسي البشر تأتي من سوء الظن المتبادل. نعم أتفق معك.

نظر إليها وهو يتأمل وجهها ويركز نظراته على عينيها، وقال:

- إن سبب المأساة فى قصص الزواج تلك التي جاءت من سوء الظن بين الشخصين، والتي تنتهي أحياناً بالانفصال والطلاق.

صمت للحظة ثم واصل مستفسراً:

- ما ظنك حينما تجدين رجلاً من عالم الجن يعترف لحبيبته من عالم الانس بالحب وأنه يريد الزواج منها؟

نظرت اليه بتفحص وكأنها عرفت أنه ربما عرف شيء ما من اهتمامها بطلب حضور الجن المعين لها، وكيف لها أن تتقبل هي ذلك؟ وكأنه بدأ يلعب معها وقالت متعجبةً من سؤاله:

- لماذا تطرح هذا السؤال؟

ابتسم لها أكثر وقال وهو ينظر فى عينيها مباشرة:

- أعرف أن ذلك ربما مستحيل، ولكن أسألك فقط من باب النقاش؟

- أعتقد أنه لا أحد يستطيع الزواج من جني ذلك لأن الإنس لا يعترفون بحب عالم الجن، فكيف ينشأ بينهم حب؟ هذا وهم.

- تعتقدين أنه وهم؟

- نعم، بل مغادرة الدنيا أفضل من هذا الحب كله، كيف لإنسان ان يعشق جناً.

بدأ وجه عوني يكون شاحباً. ثمة ابتسامة صفراء تجمدت على وجهه. وضع الكوب جانباً الي جهة اليسار.

بينما هي قد انتبهت لكلامه هذا والجملة الفظيعة بحق الحب بين الإنس والجن. برغم ذلك لا تستطيع الحياة بدونه، فهو الصخرة التي تستقر عليها حياتها.

انتبهت لجفاف لهجته. فقالت هي بنبرة مترددة:

- إنه لن يكون الا حب أسود والذي ينتهي بالحقد الأعمى. لذلك أقول لا يمكن أن يحب الانسان غيره من عالم الجن. ان الحقد لديهم هو الحب، فبنفس قوة الحب سيكون الحقد.

صمتت لحظة ثم نظرت إليه وكأنما تكتشف شخصا آخر أمامها. فهما منذ شهور لم يتحدثا بعمق بل كان الحديث فى أمور مختلفة، ثم واصلةً قائلةً:

- هل تدري، لقد سمعت كثيراً عن العشق بين الإنس والجن وشاهدت أفلاماً، لكني لم أفهمها. أنا أفهمها كعلاقة مأساوية عن حب مأساوي لم يتحقق نتيجة للفوارق بين حياتهم والحقيقة التي خلقنا الله عليها، وهذا ما يدفع بهم إلى جحيم الغيرة. إنك الآن فتحت ذهني على جوانب لم انتبه لها.

ابتسم لها بطيبة وقال لها:

- يمكن فهمها هكذا أيضاً، فهي تؤكد ما للفوارق المختلفة بينهما من تأثير على مصائر العالم كله.

نظرت إليه بحزن خفيف وقالت بأسف:

- نعم، لكني أشعر بأن لديك ازدواجية فى الانتماء أحياناً.

ارتسمت علامات الاستغراب على وجهه فسألها:

- ألست إنساناً بالكامل. أقصد من ناحية الحب؟

- بلا. هذه هيئتك أمامي.

- هل ترين شيء مختلفاً؟

- لا.

ابتسمت هند ابتسامة خفيفة وقال بخوف:

- أنت أثرت فضولي بهذا الشأن؟

- بماذا؟

- بعقليتك الغريبة أحياناً؟

- ربما أنت محقة. أنا شخصياً لا أعرف نفسي جيداً، وأحياناً أتسرع فى أحكامي وعواطفي.

- يبدو لي ذلك.

******

مر أسبوعين وفي أحد الأيام. كانت الساعة فى حدود الثامنة مساءً حينما احتاجت هند أن تذهب لشراء بعض منظفات البيت والمواد لغسل الملابس من مكان قريب من بيتها، وكانت قد نسيت أن تطلب من زوجها أن يشتري هذه المواد عند عودته إلى البيت، وما أن فتحت الباب حتى واجهتها جارتهم المنتقبة وخلفها يقف الشيخ، فى تلك اللحظة. كان باب شقتها مفتوحاً.

كانا واقفان أمام الباب. ابتسم لها الشيخ وحيتها الشيخة ميمونه قائلةً:

- صباح الخير دكتورة هند.

جمدت هي فى مكانها، ولم تستطع أن تتقدم خطوة واحدة. نظرت إليهما بارتباك، ولم تجبهما، وشعرت فجأة برغبة فى الفرار منهما وإلا فأنها لا تعرف كيف سينتهي لقاؤها معهما، فقد قررت ألا تزورهما ابداً، كما قال لها الامام محفوظ، فأرادت الرجوع للدخول إلى الشقة لكنهما كانا أسرع منها، فقبضت على كفها الشيخة ميمونه وسألتها:

- ما بك مدام هند؟ ما الذي فعلناه أنا وزوجي الشيخ حتى لا تأتي لزيارتنا؟

لم تجبهما وإنما أرادت أن تسحب كفها من كفها، لكن السيدة ميمونه كانت أقوى منها فسحبتها بقوة جاذبةً إياها إلى داخل شقتها. لم يترك الشيخ وزوجته الفرصة، فأغلق الشيخ الباب وأوصده بالمفتاح، شلتها المفاجأة وأخرستها فلم تنطق بشيء، بل وبتهور حصرتها الشيخة على الأريكة لتجلس وتهدأ وضغطت عليها حتى كادت أنفاسها تتقطع، لكنها أحست برغم ذلك بالخدر، ووجدت وجهها قريباً منها وهي تقول لها:

- ما بكِ؟ أنت تهربين منا أم من نفسك؟

تمتمت بتوسل:

- أرجوكما اتركوني ماذا تريدان الآن لقد انصرفت عن الأمر وعن التعامل مع الجن المعين.

كانت تتحدث بينما ميمونة أخذت تضع يدها على رأسها، انتبهت إليها فأرادت أن تدفع يدها عن موضعها فوق رأسها. كانت فى حجابها. وبدون أن تتوقف رفعت يدها من فوق رأسها.

حاولت هند أن تصرخ لكنها كانت عاجزة فلا صوت يخرج من حنجرتها، وأحست بالشلل الكامل. أرادت الهرب، لكن التأثير كان أقوى منها. وكانت هي وكأنها ليست هي. فجأة أحست بالخدر وتيارات اغماء تنتابها، أحست بأنها تغرق، وتهوي معهما فى هوة بلا قرار.

مرت دقائق وهي مستلقيةً على الأرض بجوار الأريكة، ثم استيقظت على صوت زوجها فى الشقة.

- هند. هند. قمي إلى سريرك فى غرفة النوم.

لم تستيقظ هند مباشرة، وحينما هزها ثانية برفق فزت من اغمائها مرعوبةً وكأنها مطارد من قوى مجهولة، وتمتمت بخوف:

- ماذا. ماذا حصل.؟

فقال لها عوني بهدوء وهو ينظر إليها بإشفاق:

- لا شيء. لم يحدث أي شيء. فقط انهضي وخذي راحتك على السرير. يبدو أنك تعبت اليوم جداً.

انتبهت لما هي فيه وعرف أنها نامت بعد تعب شديد مما حدث لها. بهدوء نهضت لكنها نظرت إلى الساعة الحائطية فوجدتها تشير الي الثالثة صباحاً، فقامت بسرعة الي غرفتها لتكمل نومها.

******

مر شهرين وقد لمع المهندس عوني فى مجال المشروعات الهندسية، وبدأ بإنشاء أول شركة للاستثمارات العقارية والمقاولات، حيث قام بإقامة شركة برغم كل المشكلات

الصعبة التي واجهها من قبل فى مدينة الإسكندرية، إلا أنه كان حريصاً على انشاء المشروعات الكبيرة، واشتري منزل كبير علي شاطئ البحر الأبيض المتوسط بمدينة الإسكندرية ويضم مسبحًا خاصًا مدفئًا فى الهواء الطلق، يقع مكان الإقامة على بعد من مجمع سكني كبير يُعد من أملاكه أيضاً، وكان عوني علي وعي أن هناك مشروع أكبر من هذه الاستثمارات، كان يشعر برغبة فى امتلاكه العالم بأسره فهو الاستثمار الآمن بالنسبة له.

******

وفي يوم ما فى حدود الساعة التاسعة صباحاً، حينما دخل المهندس عوني الي مكتبه الجديد بالشركة جاءته الآنسة صفاء. كانت صفاء بطبيعتها تتحدث كثيراً عن كل شيء وأي شيء، ولكنها رسمية جداً فى تعاملها مع المهندس عوني، بالطبع فهو صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارتها وهي سكرتيرته الخاصة وهو يعلم صداقتها بزوجته الدكتورة هند التي رشحتها له يوم ما لمساعدتها فى العمل، لذا اتبع معها خطة استمدها من خبرته مع النساء، فلم يبد لها بأنها تعجبه أو أنه يريدها.

وبعد أسبوعين لاحظ أنها تحاول أن تكتشف عالمه، فهي تعرف أن لدية زوجة أخري غير صديقتها هند، ولكنها لا تعرف ما هي اهتماماته النسائية؟ لاسيما وأنها متأكدة بأنه متزوج حقاً من المهندسة آية الله أغا والتي كانت تعمل معهما من قبل فى شركة غانم بيه. فضولها كاد يقتلها، إلا أنها لم تبد اية إشارة

توحي بأنها تريد أن تعرف عنه كل شيء، حتى وأن اعترفت مع نفسها بأنه أنيق ووسيم ومتعطر دائماً بعطور طيبة، وأنه طيب فى التعامل معها ويحترمها ولا يسيء الأدب معها أبدًا، حتى أنه لا يضطر لتوجيه الأوامر إليها لتقديمها بعض الخدمات. استمر الحال بينهما هكذا إلى أن جاء ذلك اليوم العاصف الذي كانت مفتاحاً لتقاربهما.

في ذلك اليوم دخل المهندس عوني إلى المكتب فوجد صفاء تنتظره لتوقيع بعض الأوراق الخاصة ببعض المشاريع الجديدة، فألقى التحية عليها. أجابته بنبرة هادئة مليئة بالحزن، فدون أن يناديها قامت بتجهيز الملفات من مكتبها وحملتها إليه ثم خرجت بهدوء. بعد قليل دعاها إلى مكتبه فجاءت دونما رغبة واضحة، إذ كانت ساهمة الوجه والنظرات وفي خجل من نفسلها لما تشعر به من سبب ظنه بها بأنها تنقل كل شيء بل أي شيء وهي لا تنسي ما قالته لزوجته الدكتورة هند عن زواجه من المهندسة آية اللّه. دخلت صفاء إليه وظلت واقف أمامه منتظرة تعليماته. نظر إليها بانتباه وقال:

- تفضلي.

- لا. شكراً لدي عمل كثير. تفضل سيادة المدير ماذا تأمر؟

- قلت تفضلي. استريحي.

ترددت هي قليلاً ثم جلست، نظر إليها بتعاطف وسأل:

- هل لازلت غاضبة فيما قلته لك من قبل حينما كنا نعمل فى شركة غانم بيه.

- لا. أبداً.

- اذن. ماذا بك؟ أراك حزينة لأول مرة منذ أن بدأت العمل معي هنا فى الشركة، هل هناك مشكلة؟

- لا. أبداً.

- كيف لا. ووجهك الجميل لا يقول إلا أنك حزينة وحزينة جدا.

فكرت مع نفسها، هذه أول مرة تسمع منه كلمة يعبر فيها عن رأيه بجمالها، لقد أعترفَ الآن بأنها جميلة، فاسترخت نفسياً قليلاً وقالت:

- لا شيء، مشاكل عائلية اعتيادية.

كان هو يتأملها. وكان الحزن قد أضاف عليها أنوثةً. وانتبهت هي إلى أنه يريد الارتباط بها، فقال لها بمودة وحنان:

- أنا مستعد لأي مساعدة. لا تتردي إذا ما كنت فى مشكلة ما.

انتبهت لنبرة المودة والحنان فى صوته ولاستعداده لمساعدتها فأحست بمشاعر الحنان والانجذاب نحوه وانتبهت لإعجابه، فقالت بتأثر:

- شكراً جزيلاً سيادة المدير، لن أنسى موقفك هذا أبداً، لكن صدقني المشكلة ليست هنا بالعمل.

- ماذا إذن؟ إذا لم يكن سراً.

كان المهندس عوني يدرك أنه يضغط على نقاط ضعفها، وأنه بذلك يقترب منها أكثر. بينما كانت هي تحس بأنه كشف ما بداخلها من اعجاب له، بل بدأت تلاحظ دفق مشاعر الاعجاب فى صوته واهتمامه الاستثنائي والمفاجئ بها، فقالت:

- موقفك هذا فاجئني سيادة المدير، اعتقدتُ أنك غاضب مني ولكن الآن اشعر بأنك صرت قريباً مني، ويمكنني أن أحدثك بكل شيء.

فقال لها:

- تفضلي. لا تترددي.

صمتت لحظة ثم نظرت إليه وكأنها تريد أن ترى ردة فعله، وقالت بهدوء حزين:

- جاءني أمس رجل لخطبتي، وعندما اعترضتُ عن خطبتي منه، لأنه متزوج ولديه أبناء بل ويكبرني عشرون سنه، غضب أخي وقال لي بشكل مهين، ماذا تريدين الآن؟ لقد بلغتي الثلاثين من العمر وتردين الزواج من شاب أعزب؟ ما هو ذنبي إذا لم اتزوج فى سن مبكرة؟

أبدى المهندس عوني تعبير الاستنكار والذهول أمامها. وللحظات أحس بأنها تتجه نحوه، بل وصارت قريبة جداً منه، وليس أمامها الآن غيره، وعليه أن يتقن استخدام هذه اللحظة وإلا فأنها ستفلت منه، قام من مكانه غاضباً واستدار ليجلس على الكرسي المقابل لها وقال:

- رجل يكبرك عشرون سنه، ومتزوج ولديه أبناء! هل أخاك هذا مجنون؟ رجل لديه أخت مثلك، جميلة ويرد أن يزوجها برجل عجوز. هذا رجل مجنون، لكن هل انت ليس لديك مانع من الزواج من رجل متزوج ولكنه شاب؟

كلماته عنها بأنها جميلة كانت عزاءً خفياً وحقيقياً لها، فقد منح كبرياءها الأنثوية الجريحة شيئاً من الثقة والمواساة. أحست للحظات أنه صار قريباً فعلاً منها، وأحست بالانكسار والضعف وشبه الانهيار، فقالت:

- نعم. لا مانع إذا كان يحبني، فإحدى صديقاتي المقربات، زوجها متزوج من أخري وهي سعيدة جداً معه.

لم يشأ عوني أن يكشف عن أطماعه العاطفية فيها فأراد أن يظهر نفسه بمظهر الرجل المحايد فقال لها:

- ربما أنت لا ترغبين بالزواج من رجل متزوج؟ ربما الرجل يحب زوجته الأولي ويهملك؟

أغاظها ما قاله فى الدفاع عن الحب للزوجة الأولي، لأنها تريد أن تدين الزوجة الأولي ولتبرر ما يدور فى أعماق لا وعيها، ولتجد التبرير للاقتراب منه حتى يتزوجها، فقالت بعصبية:

- أنا متأكدة بأن الذي سيتزوجني سوف يهتم بي كثيراً. أنا متأكدة. وربما لأن الزوجة الأولي أحياناً لا تهتم بزوجها خاصة بعد انجابها للأطفال.

وترقرقت الدموع فى عينيها. صمت عوني للحظات، وفجأة أخذ منديلاً وبتعاطف وأعطاها إياه، ولم تفسر هي هذه الحركة منه

تفسيراً عاطفياً، ثم فاجأها وقال لها لو طلبت منك ان تتزوجيني ما هي اجابتك؟

ارتاحت له ووافقت دونما اعتراض، فقالت له:

- أوافق جداً.

- لا أدري ما أقول، لكنني أحبك حقاً.

نظرت إليه دون أن تجيبه وقالت:

- وأنا ايضاً.

نظر إليها ووجدها طيعة وشبه منهارة لما حدث لها أمس من أخيها، فسألها بصوت متردد ومرتجف حاول أن يكتمها:

- لماذا أراد لك أخاك الزواج من هذا الرجل على الرغم كبر سنه وظروفه الاجتماعية المختلفة، أقصد لماذا ينزعج اخاك برفضك له، وما هو دور والديك فى هذا؟

أخذت تبرر، وكأنت مرتاحة لهذا القرب بينهما، فقالت:

- أبداً. أبداً. لا شيء. أبي رجل مسن وأمي مريضة و...

فقاطعها قائلاً:

- غريب.

فقالت بعناد وغضب المرأة المجروحة.

- هذا هو الذي يقتلني فى كل هذه الأمور، فلو أني كنت مقصرة مع أبي أو أمي فى شيء فربما أجد له بعض العذر فى ذلك.

- سوف أزوركم غداً لخطبتك، هل لديك مانع؟

ابتسمت بحياء وهي خافضة وجهها وقالت:

- لا يوجد أي مانع لدي وسوف أُبلغ أبي ان شاء الله.

فقال بصوت مرتجف. وبهدوء وبشكل مكشوف:

- هل تريدين أي شيء افعله قبل زواجنا؟

- لا. أبداً.

- لكن جوابك لم يكن شافياً.

- لماذا؟

أدرك أنها انجرفت معه دون أن تدري، وربما تدري، فسأل وكأنه يضرب ضربته القاضية.

- هل تردين شئياً معيناً فى تجهيز عش الزوجية؟

-لا شيء.

فضغط عليها وقال:

- بالتأكيد لا أحد يعرف علاقتنا هذه الآن حتى تسير الأمور فى مساراتها وأنت تعرفين أن زوجتي هند تغار كثيراً.

- طبعاً. طبعاً. مهم ألا يعرف أحد هذا لا سيما أنها صديقتي.

- لكن، هل زوجتك الأخرى أجمل مني؟

- تقصدين آية الله أغا.

- نعم.

- المسألة ليست لها علاقة بالجمال فحسب، وإنما بالراحة النفسية بين الزوجين، وأنا انجذب اليك كثيراً وأشعر بأنه سوف يكون هناك تآلف روحي بيننا.

أحست صفاء بالحاجة إليه حقاً، لحنانه وقوته، ولكلماته الجميلة التي تبعث بالحب فى نفسها، وأثارها جرأته فى الحديث معها. نزلت دمعتان من عينيها، فسحب منديلاً آخر وأعطاها اياه ثم مسحت دموعها.

نظر اليها وهي تمسح دموعها ثم قال لها:

- لا أريد أن أراك باكية؟ هل تفهمين، لا أريد أن أرى الدموع فى عينيي امرأتي الجميلة. أنا معك. سأقف إلى جنبك. أنت لست وحيدة فى هذا العالم.

ثم قامت وخرجت من غرفة المكتب مسرعةً ومرتبكةً. وكان واضحاً أنها سعيدة، لكنها قلقةً وكأنها تريد أن تقيّم الأمور مع نفسها أولاً وتحتاج أن تكون وحدها.

******

# الفصل العاشر
# الأمـــــيرة

في صباح أحد الأيام قصدت الدكتورة هند مكتبة للكتب القديمة واشترت منه عشرات الكتب الخاصة بالتنجيم والسحر وعادت لبيتها وبدأت فى القراءة دون توقف وكأنها تبحث عما هي فيه وتحاول العثور بمفردها على القوى الخفية. منهمكه فى القراءة رن هاتفها اسرعت وحملت السماعة وكانت فرحتها عظيمة جداً حينما وجدت الشيخ علي الهاتف، يطلب منها الحضور اليوم وسألها لماذا لم تحضري اليوم لمقابلتي كما اتفقنا؟ جمعت هند كامل قوتها وهرولت مسرعةً الى شقته وكلها امل فى الخروج مما هي فيه. حينما صعدت الي الطابق السادس وقرعت الباب، فتحت لها ميمونه، ووجدت الشيخ جالساً وقد لف جسده النحيل فى معطف من الصوف وقطب حاجبيه وقال لها:

- قد بينتُ لك الأمر من قبل بالحجة والبرهان، فلماذا ذهبتي ليلة أمس الي الامام محفوظ؟

صمتت هند للحظات مصدومة وارتسمت عليها علامات الدهشة وكأنها مسكت شيئا خفياً.

ثم يقول لها الشيخ بابتسامة مشوبة باستخفاف.

- مشكلتك أنك دخلتي الى عالم مجهول عنك تماماً وقد وجدتي خاتم الاخيضر ابن ملك الجان الاحمر ووجدت رقعة الجلد، لا تقلقي هو من أبهى الجن وجلسته رائعة ولقد تعاملت معه وعرفت ذلك عنه وله من الأعوان الجني سمان.

صمت للحظة، ثم واصل قائلاً:

- ووجدت رقعة الجلد المسحورة والدنانير النحاسية وقد اصبحت مطلوبةً فى عالم الجان والأمر جاء من الأميرة قيعانه أم الملك الأخضير، ملك ملوك الجن الأحمر! سوف أشرح لك الطريقة التي تجعلك على اتصال بهم

بهتت هند من حديث الشيخ لها وقبلة يديه، لكن الشيخ اشاح بوجهه قائلاً:

- غداً صباحاً قبل صلاة الفجر، تأتي الي هنا وقبل حضورك اغسلي كافة جسدك بماء الورد فإنك ستدخلين خلوة روحانية لمقابلة الأميرة!

طأطأت هند رأسها بالموافقة وخرجت مسرعةً من غرفة الشيخ. وقبل خروجها من باب البيت شعرت بأن أحداً امسكها من يدها.

******

هبطت هند الدرج مسرعةً لشراء بعض الأشياء التي من الممكن استخدامها فى خلوتها الروحية، لكنها لاحظ أن السماء بدت مثل جدار سميك من غيوم سوداء وبيضاء كثيفة، لكن لم يرد فى ذهنها قط أن السماء ستنشق عن برق ورعد وشلالات من المياه التي ستعطل الحياة فى المدينة لساعات. فما أن خرجت من البيت فى الليل ولم تصل بعد منتصف الطريق إلى أحد المجمعات التجارية حتى اهتزت المدينة بالرعد والبرق، الذي شق قشرة السماء التي بدت لها والتي نظرت إلى السماء عند لحظة ولادة البرق وكأن الأرض وما عليها ليست إلا مظلة كبيرة تهبط عليا الماء، فما وراء الشق الذي أحدثه البرق أحست بأن هناك عوالم

هائلة وليست سمائنا إلا السقف الداخلي لقشرة الأرض. وكانت السماء تهطل بالمطر مدراراً وكأن شلالات علوية بدأت تنهمر على المدينة.

فكرت هند بأنه يجب أن تذهب إلى المجمع التجاري وعليها إنجاز الأمر بأسرع وقت ممكن، لاسيما وأن موعد دخولها الي الخلوة الروحانية غداً وهو الوقت المناسب بسبب سفر زوجها أيضاً، فلابد من شراء أغراض إضافية آخري للإقامة لفترة ما هناك. لكنها انتبهت بأن المسافة المتبقية إلى المجمع التجاري تكاد تكون عارية من أي غطاء أو سقوف فالمجمع يقع فى شارع كبير بيوته تصطف بشكل متسلسل وبالتالي عليها العودة إلى البيت وأخذ المظلة.

بعد أن فكّرت سريعاً بأن عليها العودة لأخذ المظلة، فكرة أيضاً بأنها لا تستطيع الذهاب للخلوة الا مع هذه الأشياء، أنها تريد أن تكون مع العالم الآخر الذي عاهدها الشيخ عليه وأنها سوف تنفصل عن عالمها، لا سيما وأن الشيخ أوضح لها بأنها من الممكن لا تستطيع الرجوع الي عالمها مرة أخري.

******

لقد حملت هند فى ذهنها أفكار الأحلام والفرح، وأحياناً كانت تشعر بأنه كابوساً حقيقياً. لم تنم ليلتها بل لقد غادر النوم عينيها واستقر بعقلها شيء واحد وهو اللقاء بالشيخ بعد صلاة الفجر. فما أن خرج زوجها فجراً لسفره الي أحد البلاد العربية وتأكدت من أنه صار فى الشارع حتى خرجت من شقتها

وصعدت الي الطابق الأعلى وطرقت الباب على الشيخ ففتحت لها الباب السيدة ميمونه فدلفت داخلةً وأغلقت الباب.

بدأت هند فى تجهيز نفسها لدخول الخلوة الروحانية. وهي بوابة العالم الخفي للقاء مع مخلوقات محجوبة عنا نحن البشر. لا يمكن لأي شخص الدخول منها الا بإذن منهم وبإذن من شيخ عارف ومقتدر. يعتبرونهم كسفيرةً لهم فى عالم الأرض.

بدأت هند فى الصلاة وقراءة القرآن الكريم والدعاء لله بتيسير أمرها وغسلت جسدها بالماء كما أمرها الشيخ فلقد عقدت العزم عن الابتعاد عن كل شيء نصح به الشيخ، فالخلوة الروحانية يلزمها تركيز كبير وعميق، هي الأن على باب غرفة الخلوة، وتنتظر الأذن لها بالدخول، ولكن وقبل دخولها نادتها السيدة ميمونه لتذهب الي الشيخ فى غرفته أولاً، قصدت هي مجلس الشيخ وقد لبست لباساً أبيضاً ودخلت على الشيخ فى غرفته، فوجدته قائماً يصلي ويقرأ أوراداً خاصة به. استأذنت ودخلت وسلمت على الشيخ وقالت له:

- ان لقاء الجن الآن أحب الى قلبي من لقاء الأنس. واظن أنه مهما فعل بي الجن لن يصل ما يفعله بي الأنس. أعتقد أنني قد أجد أصدقاء أوفياء من عالمهم.

ابتسم الشيخ لها ابتسامة خفيفة ونظر الى الأرض برهة من الوقت ثم رفع رأسه قائلاً:

- اذن ابتداء من اليوم انت مريدةً لي وأنا شيخك وكل أمر أوجهه لك تقومين بتنفيذه بدون ان تسالي عن شيء ومن اليوم لا

تقولي لي هذا حرام أو هذا حلال فهذه القاعدة غير معروفة فى عالمنا.

وجدت هند أنها أمام شخصية غريبة، بل نسيَت كل تفاصيل الأحداث السابقة ونسيت لباقته فى الحديث، وأخذت تفكّر بما قاله لها، فشحب لون وجهها وقالت بارتباك:

- كيف لا اسأل عن شيء ما؟ هل هو حرام أم حلال؟

ابتسم لها ابتسامة خفيفة وقال:

- لأنني أنا الشيخ هنا. شيخ للجن. أنا لستُ شيخ السماء، إنما أنا شيخ للجن على الأرض.

نظرت إليه باستغراب وسألت:

- هل أنت شيخ ملحد؟

ابتسم لها وقال بطريقة ودودة لكنه متزن وكأنه أدرك ما أثاره فى نفسها من ارتباك:

- لا. على العكس. أنا مؤمن جداً. مؤمن بوجود خالق لهذا الكون العجيب، لكني أحياناً لا أفهم نصوص الأديان بشكلها الحرفي.

كانت منبهرةً بكلامه أشد الانبهار. وقالت بحماس واضح:

- لا. لا. هذا غير معقول. أنا لا أصدق أنني أمام رجل من هذا العالم حقاً!

ابتسمت له ابتسامة ممزوجة بخوف، ثم فجأة ارتسمت علامات الحزن على وجهها الجميل:

- أنا أشعر أنني لا يمكن أن أكون من هذا العالم.

ابتسم لها وقال:

- يبدو لي أنك لا تؤمني بوجود شيخ للجن فى الأرض مثلي ويستطيع التفكير فى العالم بجدية ويطرح الأسئلة ويفكك النصوص ويوضحها التوضيح المبين!

فارتبكت وقال بما يشبه الاعتذار.

- لا أبداً. لا أقصد بأنك أقل من الشيوخ قيمة، أو أقل ذكاءً، وإنما أردت أن أعبر عن إعجابي الكبير بك وبطريقة تفكيرك. هل تصدق أنني لم أفكر بقصة الأديان بهذه الطريقة فهي بالنسبة لي من المسلمات التي لم أفكر فى أن أضعهما أمام محكمة المنطق العقلي هكذا!

ابتسم لها الشيخ. وشعرت هي بالتميز ثم قال لها:

- سامحتك، لكن عليك الحذر من ابناء الجحيم، وانظري الي باعتباري شيخ الأرض كلها بل وأميرها.

- حسناً.

فقالت مرددةً باستسلام:

- حسناً.

كانت هند تريد أن تنهي هذا الحوار وأن تصعد الي الروحانيات المتعالية، أو إلى عالم المحجوبات، فقد شعر برضا نفسي لأن حجتها مقبولة عند الشيخ. برغم الخاطر الذي مرق فى ذهنها مباشرة بعد أن قال لها لا تقولي لي هذا حلال أو هذا حرام.

نظر إليها بتركيز وقال لها بنبرة جادة:

- والأن ضعي هذا الخاتم فى اصبعك بيدك اليسرى، وضعي الرقعة الجلدية حول معصمك، والدنانير النحاسية اتركيها هنا أعلي هذه الطاولة.

ثم نادي الشيخ بأعلى صوته:

- ميمونة! احضري الخادم المخلص.

- تحت أمرك يا مولانا.

صمت الشيخ للحظة ثم نظر الى هند وقال لميمونه:

- خذي هند الى الغرفة اليسارية المفروشة برماد البطم وسلميها.

- أمرك مولانا.

- وأشعلي لها شمعةً بيضاء فيها وسلميها قسم الاحضار واعطها مبخرةً من الطين الأصفر وقليلا من بخور السلاطين.

أحنت ميمونة رأسها مطيعةً لأمر زوجها الشيخ وخرجت لتجهيز ما طلبه منها.

انتبه الشيخ بأن عليه أن يكون دقيقاً فى الحديث مع هند، فقال لها:

- عدد أيام خلوتك هي خمسة أيام ابتداء من اليوم وستسلمك ميمونة قسم الاحضار تحفظيه عن ظهر قلب، ولا تتلعثمي فى قراءته وتقرئي منه مرة بعد كل صلاة مفروضة ولابد لك من الصيام فى اليوم الرابع والخامس من الخلوة.

ثم حدق إلى وجهها مقرباً وجهه إلى الأمام ثم قال:

- وفي ليلة اليوم الخامس ستسلمك ميمونه إناء أسود تبخري به خلوتك ولن تراني الا فى اليوم الخامس، وتعاملك سيكون مع ميمونه من وراء حجاب بحيث أنك لن تراها وهي لن تراك. لا تكلميها ولن تكلمك، فهي ستقوم بجلب كافة الأمور الضرورية لك وستجديها بباب غرفتك وأوصيك لا تخفي من اي شيء سيظهر لك اثناء خلوتك.

نظرت نحوه مباشرة وكأنها تريد تأمله ومعرفته فقد بدي لها شخص مجهول وقالت:

- لنفترض جدلاً أن كل ما تقوله لي قمت به، ثم حدث شيء ما بطريقة الخطأ، فماذا أفعل، هذا ما يدور فى ذهني؟

فقال لها باستغراب إذ وجد فى كلامها شيئاً من الاستفزاز:

- لا تخافي من أي شيء، ولا من أي مخلوق قد يظهر لك، وربما يحضر عندك عدد من الجن ويعطونك المال وغيره ويطلبون منك التخلي عن خلوتك، فلا توافقي أبداً بل أكملي الخمسة أيام كاملةً الى شروق شمس اليوم الخامس وأوصيك لا تخبري ميمونه بما تلاحظي او تسمعي ولا تستشري معها فى شيء فكل هذا سوف أفسره لكي بعد اتمامك لخلوتك!

نظر اليها مباشرةً وقال بثقة:

- والأن انصرفي للقاء ميمونه فى الغرفة الأخرى وسوف تمنحك كافة الأشياء. ولقاؤنا بعد خمسة أيام.

انحنت هند وقبلت يده وخرجت الى غرفتها المؤقتة الجديدة.

******

ذهبت آية الله الي مكتب زوجها المهندس عوني بشركته، وحينما دخلت وجدته يحمل فى يده باقة صغيرة جميلة ومتميزة من الورود المختلفة الألوان، والمغلفة بالورق الشفاف، وقد فكرت بأمر هذه الباقة من الورد.

قام هو ورحب بها ترحيباً خفيفاً، ثم انتبه لما فعله فنظر اليها خجلاً ثم انشغل ينظر فى بعض الملفات التي أمامه. أحست هي بالخيبة، مرت الأحداث أمامها مثل شريط سينمائي فتذكرت المرة الأولى التي قابلها فيها ورحب بها بعنف وقوة حيث بالكاد انصرفت من مكتبه، بينما الآن ينظر اليها ويرحب بها من باب رفع العتب وكأنما يؤدي واجباً روتينياً.

أحست بالغضب الداخلي يتصاعد فى أعماقها، وصرخت بصمت: انا التي كانت تعتني بك أكثر مما تعتني بك زوجتك الأولي، أنا آية الله أغا، التي كانت تطهي لك اشهي الطعام دون أن تطلب منها، فقد كانت تعتبرك أنت الحب الحقيقي فى حياتها، والآن تعاملني بهذه الطريقة؟ ماذا هناك؟ هل هي امرأة أخري جديدة فى حياتك أم ماذا؟

وأخذت تسأل نفسها:

- من هي يا تُرى؟ أنا هنا منذ ستة شهور، لم أشاهده يحمل ورداً هنا بالشركة أو يشتري لي وردًا! من المؤكد أن ثمة سراً يخفيه؟ وإلا ما هذا التبدل الذي طرأ عليه منذ عودته من القاهرة

حينما ذهب للمؤتمر الهندسي هناك؟ لقد كان يأتي الي كل يوم تقريباً، سواء كنت أرغب فى مجيئه أم لا، وحتى حينما لا أطلب منه الحضور كان لا يتنازل عن حضوره على الغداء أحياناً، أو أن يطلب مني أن أحضر له بعض الأصناف التي لا تستطيع زوجته الأولي ان تصنعه له. صحيح أنني كنت لا أستطيع أن أفكر أو أن أتصور بأني أتزوج رجل متزوج من أمراه أخري، الا انني اعلم انه يحبني كثيراً وكأنني المرأة الأولى عنده رغم استمرار وجود زوجته الأولي فى حياته، لكن تعودت على هذا بل وأحببته ولا اغار من زوجته الأولي هند، فأحياناً كنت أريد منه أن يحصر قبل أن يذهب إلى بيت زوجته الأولي، بل صرت أحس أحياناً بالغيرة قبل نهاية العمل دونما أن ينتبه لذلك، فكنت أحوم حوله من أجل أن يأخذني فى طريقه الي بيتنا، وحينما كان يتشاغل عني أو أن أراه منهمكاً فى العمل، فأنني كنت أقترب حتى ينتبه لي. فما الذي جرى منذ عودته من القاهرة؟

وقبل انتهاء العمل وعند خروجه، قد فتشت هي كثيراً فى مكتبه عسى أن تصل إلى أي شيء يكشف لها عن سبب هذا التغيير معها، فهي بحسها الأنثوي الغريزي تعرف أن سبب هذا التغيير هو وجود امرأة جديدة، أو ربما أكثر من امرأة ولكن من هي يا تري؟ وهل ستسافر معه الي قطر أم لا؟ هل صحيح سوف يسافر هو لإنجاز بعض أعمال الشركة، أم أنه على موعد بامرأة أخري؟

******

دخلت هند خلوتها وأطبقت الباب خلفها وجدت بالغرفة حصيراً مفروشاً فوق رمال وطاولة خشبية صغيرة قديمة وضعت فوقها شمعة مكتوبة بلون أحمر بطلاسم وحروف. لم تلتفت إليها بل نظرت الى الورقة التي سلمتها إياها ميمونه ووجدت بها أسماء وأدعية وعدد سطورها خمسة فقط. اجتهدت فى حفظها، وبدأت فى قراءتها بالجهر تارة وفي سرها تارة أخرى، وأثناء ذلك دخلت فى غفوة، ورأت رؤيا عجيبة. رأت امها المتوفية واقفةً أمامها وكلها شفقة عليها وهي تقول لها: هذا ليس طريقك يا ابنتي! غادري هذا المكان وعودي الى بيتك الأن، واخبرك بين سخطي عليك ورضاي! فان رجعتي وتركتي هذا الأمر فرضاي معك وأن تابعتيه فسخطي عليك الى يوم القيامة، استيقظت هند من غفوتها ثم همست فى نفسها: هذا من الشيطان.

******

سحب المهندس عوني ستائر نافذة غرفته فامتلأت بنور الصباح الذي تدفق بكرم عبر الزجاج، وكشف عن منظر رائع للخليج العربي، الذي يمتد على امتداد البصر. فقد وصل الي قطر للمشاركة فى أهم المشاريع التابعة لقطاع العقارات والإنشاءات الهندسية بها. تأمل الخليج، ساحل الخليج الرملي، الطيور المحلقة فى السماء. كانت فى أفق الخليج ثمة سفينة كبيرة تبدو وكأنها واقفة.

مطّ المهندس عوني جسده ليطرد ما تبقى فيه من نعاس وكسل ورغبة فى العودة إلى السرير. فتح ذراعيه مؤدياً بعض التمارين

الرياضية. توجه إلى غرفة الحمام وأغلق الباب خلفه بعد أن كان منبسطاً مفتوحاً ليأخذ حماماً ساخناً.

بعد فترة وجيزة خرج من الحمام عارياً سوى من منشفة عريضة بيضاء لف بها القسم الأسفل من جسده، ثم بدأ يرتدي ملابسه على عجل كي يسرع إلى قاعة الطعام عسى أن يجد له فطوراً.

******

أتمت هند يومها الأول بمشقة ونامت فوق الحصيرة بعد أن وجدت بباب الغرفة بعض المفروشات التي افترشتها فوقها والتي قد وضعتها لها ميمونه من قبل.

تابعت هند خلوتها بشكل عادياً جداً مواظبة على قراءة وردها وتبخير خلوتها وصامت اليوم الرابع والخامس كما قال لها الشيخ. وعند افطارها من صيامها فى يومها الرابع ومباشرة بعد اتمامها للصلاة سمعت حركة غير عادية قرب الباب، فتحت الباب، دخل عليها الشيخ استغربت هند لأنه قال لها انه لن يراها الا بعد انتهائها من خلوتها، وها هو يحضر الآن فى غرفة خلوتها باليوم الرابع!

وقفت هند احتراماً له وارادت تقبيل يديه. لكن الشيخ دفعها وقطب جبينه وقال لها بضيق وبنبرة تشوبها الغضب:

- لا تقتربي مني أيتها الإنسية. ماذا تريدين منا، لقد أزعجتني قراءتك وتبخيرك كل يوم!

شعرت هند بارتجافه وبرودة تجتاحان جسدها. وقالت بضيق وبنبرة تشوبها خوف وهلع:

- ماذا فعلت؟

فجأة تحول الشيخ الى صورة شيطان أسود! فزعت هند وتضاعفت دقات قلبها حتى أصبحت مسموعة وأصفر وجهها وجف الريق من فمها وبهتت ولم تعد تستطيع التحرك من مكانها! ارتسمت علامات الغضب على وجهه وصاح مقهقها حتى ارتعدت حيطان الغرفة ثم انصرف كالرياح تدور وكأنه لم يكن، بدأت هند فى الارتعاد والارتعاش وأحست بألم شديداً فى رأسها وسقطت على الأرض شبه مغشي عليها.

******

عند العشاء وفي الساعة التاسعة تقريباً وبالقرب من الشاطئ الرملي الذي يمتد بين الفندق والخليج كانت السفينة الخشبية الكبيرة التي تشبه سفينة القراصنة منتظرةً السائحين من رواد الفندق. كان رواد الفندق يتوافدون على المركب ويأخذون أماكنهم المرصوفة على سطحها عابرين جسراً خشبيا يفصل بين الساحل والسفينة، كانون جلسين وإنما ظل المهندس عوني واقفاً مطلاً على الخليج متكئاً على سياج السفينة.

وجد رجلاً يمسك بيد زوجته، وهما يقفان فى الطابور الصغير الراكب إلى سطح السفينة. أشار إليهما بأن ينضما إليه وكأنه يعرفهما أو كان معهما. طالباً منهما الصعود معه. ارتبكا الرجل وزوجته لأن بعض السائحين أخذوا ينظرون بانزعاج لخرق سلسلة الطابور. إلا أن حيوية المهندس عوني أوضحت للجميع بأنهم معاً خففت من نظرات الآخرين. ولم يكن أمام المهندس عوني سوى

أن يصعد إلى سطح السفينة، وحينما التفت إلى طابور الراكبين أحس بصدمة مفرحة. إذ لمح سيدة جميلة قادمة لتصعد السفينة، فكر المهندس عوني مع نفسه بأنها فرصة ذهبية للتعرف عليها، وأخذ يخطط بسرعة مع نفسه فى كيفية التعرف عليها. فقرر أن يتعرف عليها أولاً، لاسيما أنه قد ظن أنها أوربية! ولم يكن هو يعرف من أي بلد هي، لكنه رجح أن تكون تركية. فمثل هذه المرأة الفاتنة والراقية فى هيئتها وحركتها لا يمكن أن تكون عربية.

اتجه المهندس عوني بالقرب منها، كانت هي جالسة على طاولة فى إحدى الجهات. انتبه للأمر فهمس فى نفسه: تحرك. إنها تجلس وحدها. هذه فرصة لن تتكرر انها امرأة فاتنة. والجو يساعد على التعارف بكل بساطة. اقتنع هو بما دار فى ذهنه، لكنه تردد مرة أخرى، ثم همس فى نفسه: وما العمل إذا جاء اليها رجل، فمن الممكن أن يجئ اليها زوجها أو خطيبها؟ ولا تنسى انها أجنبية. همس فى نفسه مرة أخري وقال: إذا جاء اليها أحد، حين أراه مقبلاً، انسحب. وإذا كانت هي وحدها وتريد التعرف على فعلاً فستختلق هي العذر لتتواصل معي. بعد أن فكّر لحظة. همّ بالتوجه إليها.

حينما جاء اليها النادل وجدها تتحدث معه بلغة تركية سليمة طالبةً منه كوباً من العصير. لم يفهم الشاب اللغة التركية فحدثته باللغة الإنجليزية، ففهم طلبها وأحضر اليها كوباً من عصير الفراولة، فهم المهندس عوني حينها أنها وحدها، فابتسم

لها من بعيد ثم توجه ليتحدث معها بالتركية وأوضح لها معاتباً لها بأن معظم العاملين فى قطاع السياحة فى قطر لا يتكلمون التركية بشكل جيد. فجأة لمعت فكرة ذهبية فى ذهن عوني أن يستمر فى الحديث معها بالتركية فسألها:

- من أي مكان أنت فى تركيا؟

- من اسطنبول.

فقال لها مبتهجا ًوبصوت عال وكأن الأمر مصادفة وقال بالتركية:

- يا أهلا وسهلا.

أبدى المهندس عوني دهشته بفرح وقال:

- يا للمصادفة، لقد درست فى إسطنبول اللغة التركية.

وتصافحا. لم يصدق أنه قربها ويكلمها بل ويصافحها أيضاً. أحسّت بالحرج. فأراد هو أن يخلق جوا أليفا فقال مقدماً نفسه إليها:

- أنا المهندس عوني.

- وأنا اسمي ألين.

ارتسمت ملامح الدهشة المحببة على وجه السيدة ألين وكأنها تبحث عن تفسير سبب لقدومه اليها وتعرفه عليها، فانتبهت لذلك وقالت موضحةً:

أنت تتحدث التركية؟!

- وكذلك الانكليزية طبعاً.

نظرت إليه وكانت عيناها تتألقان، ثم قال لها:

- اسم جميل، ألين. تعني بالعربية أجمل نساء العالم.

أشرق وجه السيدة ألين وقالت:

- أشكرك.

- تشرفنا يا مدام.

- لي الشرف مهندس عوني.

******

بعد برهة أفاقت هند وتذكرت ما حدث وبدأت فى تأنيب نفسها محدثةً نفسها قائلةً: يجب ان أكون قويةً وواثقةً من نفسي. وأوحت لنفسها بتثبت عزمها وعزيمتها ثم ذهبت للنوم وبصعوبة كبيرة أغمضت جفنيها، وفجأة سمعت صوت فوق رأسها يأمرها بالاستيقاظ، وجدت خمس أشخاص ًبلباس غريب يحملون صندوقا مليئا ً من المال! خاطبت أحدهم:

- أريد أن أقابل الملكة قيعانه.

ابتسم لها أحدهم ابتسامة خفيفة وقال:

- بل تريدين مقابلة روح الأميرة قيعانه، فهي متوفية منذ ثلاثة آلاف سنة وروحها فقط التي سوف تقابليها!

ردت هند بإصرار وقالت:

- الروح من أمر ربي وأرواح الموتى لا تنزل إلى الارض وما تقولونه حرام وشرك بالله!

غضب كبيرهم غضباً شديداً وقال:

- نحن لا نعرف الحلال والحرام ولا نعلم ما هو الشرك بالله، فإلهنا هو أنا وربنا هو عزازيل الأكبر خالق الكون!

فزعت هند وتضاعفت دقات قلبها أكثر حتى أصبحت مسموعة وتغير لون وجهها وبهتت ولم تعد تستطيع التحرك من مكانها! ثم نظرت إليهم وقالت مترددة: بل الله خالق كل شيء وأنتم تكفرون به!

نفخ عليها كبيرهم نفخة من هواء بارد رفع على أثرها هند عالياً حتى لمس ظهرها سقف الغرفة، وأحست بدفعة قوية جداً فى صدرها وغابت عن وعيها! بعد مدة من الزمان استيقظت هند على لفحات برد قارس واذان الفجر لكنها ليست فى غرفتها بل فوق الأرض وفوقها السماء مباشرة!

انها تسمع نقيق الضفادع وتسمع خريراً للمياه وأعشاب كثيفة محيطة بها! ما هذه المنطقة التي أنا بها؟ انتبهت وقصدت ضوء بعيد شيئاً ما، أنه المسجد، أسرعت بخطواتها نحو المسجد، وفي عقلها ألف علامة استفهام ما هذه المنطقة؟ كيف وصلت الى هنا؟ ما جاء بي هنا؟ وصلت الى باب المسجد ووجدت بعض المصلين فى زي ريفي.

سألت أحدهم قائلةً:

- ما اسم هذه المدينة؟

رد الرجل الغريب أولاً بجمل الترحاب الريفية التقليدية، ثم نظر اليها الرجل مستغرباً وقال لها بلكنة ريفية:

- هذه منطقة دهشور فى محافظة الجيزة.

بهتت هند وتساءلت كيف وصلت الى هنا؟! لكي أصل الى هنا يلزمني أكثر من ساعة بحافلة حتى آتي الي هنا رجعت وسألت الرجل:

- كيف جئت الى هنا؟ هل هذه مملكة للجن؟

استغرب الرجل من سؤالها ثم ابتسم لها وقال:

- هل انت مجنونة؟ وطلب منها أن تغمض عينيها وتقرأ آية من القرآن لكي تجد نفسها فى مكانها الأول. اغمضت هند عينيها وبدأ فى القراءة وعند تمام القراءة شعرت كأن هناك شخص دفعها من ظهرها الى الأمام، فوجدت نفسها فى غرفة خلوتها مستلقيةً على الارض وشعرت انها كانت تحلم، لكنه حلم حقيقي! لقد دخلت الى عالم الأحلام الحقيقية!

******

مرة ساعة ثم قامت السيدة ألين من كرسيها معتذرة للمهندس عوني بأنها لابد من الذهاب الآن، نادي هو النادل وقام دافعاً ثمن كوبين العصير، غير أنها لم تقبل ذلك فأصر عوني على الدفع مبرراً بأن ذلك عربون محبة، وقام من كرسيه معها، فما كان منها إلا أن يقترح عليها بأن يراها غداً، وقادها إلى حيث تقف السفينة قائلاً لها بمرح:

- غداً.

نظرت إليه نظرة محايدة وقالت:

- اذن غداً.

أحس عوني برجفة تسري فى جسده عندما سمع منها أنها سوف تنتظره غداً. وقد عرف أنها سيدة مطلقة.

******

استجمعت هند قواها وأخذت ركن فى الغرفة وبدأت فى التفكير فيما هي فيه وأخيراً قررت التخلي عن الخلوة! لقد فكرت فى العودة الى بيتها! نادت بأعلى صوتها:

- ميمونة. ميمونه!

أجابتها ميمونه:

- نعم هند. أنا قريبة منك هل تريدي شيئاً؟

فقالت لها:

- نعم أخبري الشيخ بأنني أريد التخلي عن هذه الخلوة!

ابتسمت لها ميمونه ابتسامة خبيثة مصطنعة تخفي وراءها مكراً قائلةً:

- لا يمكن! لقد دخلتي الى اليوم الخامس والأخير وهو آخر يوم لك.

صمتت ميمونة للحظة ثم أردفت قائلةً:

- هل انتابك خوف من الشيخ؟

كررت هند طلبها:

- أخبري الشيخ، أرجوك!

أجابت ميمونه:

- لحظات وأرد عليك.

بعد دقائق عادت ميمونه وقالت لها:

- الشيخ يقول لك لقد انشطر جسدك ولا يمكن العودة الى الخلف. أما ان تكملي اليوم أو تغادرين الخلوة وتتحملي أنت مسؤوليتك!

- ثم ماذا بعد؟

- انتبهي يا هند، ليس لدينا أي ضمان على الحياة.

فكرت هند ملياً ثم توضأت وصلت واستراحت فى جانب من الغرفة. بعد صلاة الفجر، جاءتها الخادمة وبيدها مجمر من الفضة وبه قليل من الفحم وفي يدها الأخرى وأشياء أخري. وأوصتها قائلةً:

- الشيخ يقول لك قبل ان تقرئي الورد بعد الصلاة بخري بهذا البخور وضعي الرقعة تحت المجمر وعند آخر خيط من البخور أرمي الخاتم فى النار.

فارتبكت هند وقالت بما يشبه الاجابة.

- ان شاء الله.

******

ونفذت كل ما طُلب منها وعند وضعها للخاتم بالنار سمعت صوت كالرعد بالغرفة، وسمعت صوت من أسفل المجمر. زاد نور الشمعة التي بغرفتها وظهرت لها سيدة ثيابها أحمر اللون قائلةً لها:

- مرحبا هند أنا الملكة قيعانه بنت ملك ملوك الجن الاحمر! وستكونين زوجةً لأبني الأمير الأخيضر ابتداءً من اليوم وسأضع

تحت امرك الجني المعين تطلبيه بالتصفيق له ثلاث مرات يحضر أمامك وسيكون لقائي معك كل ليلة ومباشرة.

ارتسمت علامات الخوف والهلع على وجهها ثم نظرت إليها فى خوف وكأنها تؤنب نفسها على سؤالها للشيخ عن هذا العالم الغريب، ثم قالت لها الملكة قيعانه:

- بعد ذهابي جربي حضور الجني المعين.

انصرفت مباشرة الملكة قيعانه كالرياح تدور، بعد انصرافها، صفقت هند ثلاث مرات وظهر أمامها الجني المعين قائلاً:

- تحت أمرك أيتها الأميرة الكريمة!

فرحت هند كثيراً واعتقدت أنها صارت أميرة، وبمجرد التصفيق يحضرها خادم من الجن يلبي كافة طلباتها خرجت من خلوتها وتوجهت الى الشيخ دون استئذان ودخلت عليه الغرفة قائلةً:

- مولانا الشيخ بوركت لقد تمت خلوتي وسأغادر هذا المكان. لقد صرت أميرة.

نظر الشيخ اليها، والى جرأتها عليه وصاح مقهقهاً قائلاً:

- اذن فلتذهبي وتغادرين المكان.

غادرت هند المكان معتقدة انها صارت أميرة قوية.

صاح الشيخ مقهقهاً وقال فى نفسه:

- أنك لا تعلمين أن الجني المعين وهذه الأميرة بل وملوك الجن جميعهم يرتعون من مجرد ذكر اسمي!

******

## الفصل الحادي عشر
# شـــيطان أســـــود

توجهت هند الى بيتها ولم تجد زوجها قد عاد من سفره، دخلت هند الى غرفتها صفقت بيديها ثلاث مرات وحضر الجني أمامها قائلاً:

- تحت أمرك أيتها الأميرة الكريمة!

فارتسمت علي وجهها علامات الدهشة الحقيقة والخوف وأجابت قائلةً:

- انا لست أميرة أيها الجني. لم أكن أفهم ما يحدث لي، اخرجني من هذه العالم الآن!

ابتسم لها الجني ثم قال:

- سوف أحضر لك كنزاً وسوف تمتلكين كل شيء أيتها الأميرة فقد اختارتك الأرواح لتكون خليفة لها بعد موتها! وسيكون تحت امرك ألف من الجن المسترقة للسمع وألف شيطان من خدام السحر وألف شيطان من المردة المعتدين.

ارتبكت هند لاسيما وأنها انتبهت لنبرة الصدق فى صوته، فقاطعته قائلةً:

- انا لا اريد هذا الجيش من الشياطين ولا أريد كنزاً!

- واضح أنك لا تستوعبين ما تقولينه.

ثم واصل قائلاً لها بغضب:

- لابد ان تتبعي الأوامر وإلا سيأمرني الملك بعقابك حتى تفهمين!

فزعت هند من كلامه فخرجت من الغرفة مسرعةً وابتعدت مهرولةً ولكنها أحست بشيء غريب، كلما ابتعدت عن غرفتها

كلما زاد الوخز فى رأسها بشدة وكلما رجعت باتجاه الغرفة زال الوخز تلقائيا!

ابتسم لها الجني المعين وقال:

- انت الآن سيدة السحرة أيتها الأميرة المبجلة. سوف تصبحين أغني مما تتخيلي!

لم تجبه وظلت صامتاً للحظة، ثم قالت له مترجيةً:

- أرجوك أريد العودة الي حياتي! وبكيت مترجيةً ومستعطفه.

نظر إليها بتفحص وأجابها الجني مبتسماً:

- ليس هذا بيدي ولكنه بيد الملك المارد القوي.

- من هو الملك المارد القوي هذا؟

- اسمه أبا محرز الأحمر!

أبلغي الشيخ وأطلبي منه، فهو الذي يستطيع حملك فى لحظة بين بلد وأخرى ويطوي بك الأرض أسرع من أي شيء!

انصرف الجني مسرعاً كالرياح تدور، وترك هند تفكر فيما تشعر به من ألم.

******

مرت دقائق وسمعت صوت دخول زوجها حينما عاد من سفره، نادت عليه من غرفتها ثم توجه إليها فوجدها مستلقيةً على سريرها وتمسك برأسها من شدة الألم الذي برأسها، ثم قالت:

- أرجوك ساعدني بشيء ما يصرف عني هذا الوخز الذي أشعر به فى رأسي.

ابتسم، ثم فجأةً غضب غضباً شديداً وقال لها:

- أتظني أن أساعدك؟

فقاطعته بنبرة مليئة بالتعجب والاستغراب:

- لماذا لم تساعدني؟

فقاطعها وقال كلمات شيطانية. وأردف بعدها:

-أجلدوها. أجلدوا هذه العبدة الحمقاء!

شعرت هند بضربات السياط تنهال عليها من كل مكان وهو أمامها يسخر منها. سقطت هي على الأرض. صمت للحظات، ثم واصل قائلاً لها:

- لماذا لا تريدين العيش معي فى عالمي، سوف أجعلك أميرةً وحاكمةً على شرذمة من الشياطين.

وفي تلك اللحظة تحول زوجها عوني الى شيطان أسود ثم الي الشيخ ثم تحول الي السيدة المنتقبة، ثم الي الإمام ثم الي ميرفت.

فزعت هند وتضاعفت دقات قلبها حتى أصبحت مسموعة وأصفر وجهها وجف الريق من فمها وبهتت ولم تعد تستطيع التحرك من مكانها! ثم قالت:

- من أنت. من أنت؟

صاح مقهقهاً حتى ارتعدت حيطان الغرفة.

صمتت لحظة، ثم قالت له:

- ماذا تريد مني؟

- أريدك معي فى عالمي لقد سقمت من عالمكم.

- إذا وافقتي على ما أريد، سوف تكوني أميرةً لي فى عالمي؟

- أميرةً؟! لا أريد ان أكون أميرةً.

- نعم. سوف تكوني أميرتي وزوجتي للأبد ووسوف نعيش فى قصر من القصور عندي، لتستفيد الأرواح منك! وستكونين سفيرةً لهم فى عالمك، عالم الانس وتستطيعين بمجرد الأمر صرع وقتل أي شبح أو شيطان، ولك مسئولية تنفيذ أحكام تصدر من الجن على بعض البشر بواسطة السحر، ستكون لديك قوة مطلقة فى هذا العالم وستنعمين باحترام العالم مثلى تماما! سوف تعيشين معي، فى نفسي الي الأبد فحياتك الأن قصيرة وأنا أريدك معي فى مملكتي.

صمت للحظات ثم واصل قائلاً:

- عند وصولك ألف سنة، سوف تعودين الي الأرض ولكن مع الموتى!

لم تصدق هند ما تسمعه، ثم نظرت إليه وقالت له مترجيةً:

- أرجوك. تعبت من كل شيء أريد العيش بسلام. أرجوك.

نظرت إليه وعيناها تفيض بالدموع. قطب هو حاجبيه وقال:

- لقد انتهى الأمر لا تجادلي فيه أبداً. وأن أردت الاستغناء عن هذا الأمر سوف تصبحي مع موتي الأنس.

أحست بتدفق الدم يصعد إلى رأسها، وبضغط قوي على صدغها، وبدون تفكير خرجت من الغرفة غاضبةً ثم تقوقعت هند فى زاوية غرفتها خائفةً وبدأت بقراءتها للقرآن شعرت بوخزة

شديدة فى رأسها وسقطت مغشيةً عليها وتصرخ من الألم الذي تشعر به.

كان هو شاحباً. ثمة ابتسامة صفراء خبيثة تجمدت على وجهه، ثم قال لها:

- لا تقرئي شيئاً، مستحيل أن ينفعك شيئاً، أنت الآن أحد أعوان ابليس.

بهتت هند وقالت:

- كيف هذا، تقصد انني صرت شيطانةً.

- وخسرت الدنيا والأخرة وخسرت كل شيء.

تمتم هند مصدومةً، خانقةً، مندهشةً مما هي فيه وحملقت فيه وقالت:

- مستحيل هذا! مستحيل ما تقوله!

قال لها فى غضب شديد:

-أنت الآن فى عالمي.

- أنه عالم الضياع الأكبر.

- أنا زوجك عوني نعمان، أمير مملكة الجان وسوف نعيش معاً ولكن فى عالمي أنا وليس فى عالمك هذا.

- هل تقصد أنني صرت شيطانيةً؟ هل تقصد أنني خسرت إيماني؟ هل تقصد ان الله ليس معي؟

صاح الجني عوني مقهقهاً وقال:

- تريدين خدامين من الجن وأعوان من الشياطين مقابل ماذا؟ لقد عكست طاقتك وروحانيتك الداخلية. كل شيء أصبح مراقباً فيك، وسوف ترصدك الأرواح باسمي. فكوني مستعدةً لأي شيء، وأعلمي أنك تملكي الآن الآلاف من الجن تحت طاعتك. انت أميرة من أمراء الجان، والأرواح السفلية راضية عنك وأنت تعرفين عقوبة عدم إطاعة الأوامر.

وبعد لحظات انصرف عنها زوجها الجني وتركها وحيدةً تفكر فيما هي فيه وهمست فى نفسها: ربما أكون فى كابوس او حلم مزعج. لا يمكن ان تكون هذه هي الحقيقة! وفجأة دخلت عليها امرأة كهلة لا تعرفها، خادمة للأمير الجان زوجها عوني وقالت لها:

- سيدتي الأميرة. لقد أرسلني الأمير لأعطيك هذا الخاتم وقال لي أنه لك، ضعي الخاتم فى يدك ويكون حضوره لك فى أي وقت!

نظرت اليها هند وهي غاضبة وقالت:

- ماذا أفعل به؟ لا أريد اي شيء، لا اريد أن أكون أميرة، وأريد العودة الي حياتي.

وفاضت عيناها بالدموع. تركت المرأة الكهلة الخاتم قربها وانصرفت كالرياح تدور.

مرت دقائق وفجأة، وجدت زوجها عوني أمامها يقول لها:

- لقد حان موعد الذهاب الى مملكة البنويهانة يا أميرتي!

قامت هند وأخذت الخاتم ووضعته فى أصبعها وخرجت تتبع زوجها الجني فهي تعرف عقوبة عدم إطاعة الأوامر. لقد استسلمت هند للأمر، وحينما همست فى نفسها وقالت: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اختفي زوجها من أمامها وسمعت صراخ صوت شيطاني وضُربت رأسها بقوة بحائط الغرفة وقد فقدت الوعي.

## الخاتمة

استعادت هند وعيها واستيقظت فوجدت نفسها بفراش حولها أشخاصاً بثياب بيضاء ومغطي نصف وجوههم بكمامات زرقاء والعديد من الأجهزة الطبية فى يديها وجسدها، وبعد مرور شهر من المتابعة الطبية والمساعدات العلاجية لها استطاعت المشي، وخرجت من المستشفى، ولكن تضاعفت دقات القلب لها كحالة خاصة، ولكنها تاهت فى براري تفكيرها وفي هذا العالم الآخر الذي يريد ان يحتل العالم كله. همست فى نفسها متسائلةً وأحيانا كانت تجيب على أسئلتها بنفسها متذكرة ما قال لها: هل يجب أن أخبر أحداً بما اعرف الآن من حقيقة واضحة؟ لكن ذلك الجني طلب منها ألا تخبر أحداً بما جرى فى حياتها، ثم كيف سيكون رد فعله إذا ما أخبرت أحد بما عرفته من حقيقة؟ فأجابت على نفسها وقالت: ان القتل والدم المسفوك هو طريق كل من يقترب من حقيقته! ثم همست فى نفسها مرة اخري وقالت: لماذا ظهر لي هذا الجني؟ ولماذا اختارني أنا لأساعده بل وقال لي انه أحبني كثيراً؟ هل أنا رخيصة إلى هذا الحد بحيث حتى الجني يطمع بي؟ أم هل أنا جميلة إلى هذا الحد فعلاً بحيث يرغب الإنس والجن فى الزواج مني فحسب؟ لكنها تذكرت أن هذا الجني الذي تزوجها كانت تراه أحياناً بلا ملامح، وأحياناً كأنه ضبعاً وأحياناً كانت لا تري فى سلوكه أنه من بني الأنس سوى قامته التي كان يظهر بها منذ أن تزوجها.

**تمت**

❖ **صدر للمؤلف دكتور محمد الشربيني داوود**

**(٩) كتب من أهمها:**

١ - رواية ثالوث الشيطان – الجزء الأول منها بعنوان (الجثث المفقودة).

٢ - رواية ثالوث الشيطان – الجزء الثاني منها بعنوان (أشباح الخيتعور).

٣ - رواية الطيف الثائر - الجزء الأول منها (النطاسي).

٤ - رواية الطيف الثائر - الجزء الثاني منها (يودايمونيا) تحت الطبع.

*****